

روایات احلام



لحن الجنون



روايات احلام

لحن الجنون

— هل تتزوجيني؟

لف الظلام تفكيرها وأدار سحر أسود رأسها... لكن صوتاً غريباً تسلل إلى عقلها...

— لا.. لا.. لا! لا أستطيع الزواج بك... أنت لست طبيعياً.. أنا خائفة من الزواج بك!

كيف ستطيق تاي داتسام وهي الموسيقية الحساسة أن تتعايش مع مشاعرها العنيفة تجاه ميردت لايتبون الرجل المتوحش الذي لا يقيم وزناً للعواطف ولا للناس من حوله؟

... قربها منه يدمرها ويعددها عنه يضئها، فلو عرفت أنه سيكون قدرها لفضلت الضياع وسط الثلوج على أن تطرق بابه ليلة العاصفة!

١ - منارة الضياع

خرجت ناي داتسام من «السوبر ماركت» الصغير في «نورثبورن» وذراعاها محملتان بأكياس البقالة الورقية السمراء. . لكنها لم ترَ الرجل الذي كان يدنو من المدخل وظلت تسير حتى اصطدمت به .

فقدت توازنها وشدت الأكياس الثقيلة إلى صدرها بقوة خشية أن يقع الكيس الذي يحتوي على ما اشترته من بيض فارتدت متهاوية نحو الباب الذي أقفل وراءها، واصطدمت به وعادت لتقع إلى الأمام، على الرجل.

شتم الرجل شتيمة بذينة دلّت بوضوح عن رأيه بها. . أما يدها فأمسكتا بذراعيها بشكل مؤلم. . تمكن بطريقة ما من المحافظة على توازنه وظلّ يمسك بها حتى استعادت توازنها.

رفعت نظرها إليه وأنفاسها مقطوعة فإذا بها ترى شعراً أشقر رمادي يتدلى من فوق جبين عريض ونظارة سوداء وشفتين جميلتين تظهران عن تكشيرة سخط.

قال بصوت أجش: «لماذا لا تنظرين إلى أين تسيرين بحق الله؟»

ردت ناي ببرود: «ولمَ لا تنظر أنت؟»

ارتدت عنه وسارت على الممر الضيق قاصدة تقاطع شارع «باي ستريت» و «ماين ستريت» وتحركت ساقاها الطويلتان بسرعة تدل عن مدى توترها.

تمتت بينها وبين نفسها:

- متعجرف... متعصب «شوقيني» قدراً من يحسب نفسه؟ وبنته أشبه بدبابة... أظن أن جسمي أصيب بالكدمات بعد اصطدامي به! ارتدت لتصعد التل المتفرع من مابين ستريت، ولكنها أبطأت خطواتها فالمنحدر أكثر حدة مما تظن، ولم تكن الأكياس التي تحملها ثقيلة فحسب بل مبرك حملها.

كانت أشعة شمس الربيع شاحبة تلمع فوق ألواح المنازل الخشبية البيضاء بينما أشجار الدردار على جانبي الطريق ترمي ظلالها القاتمة... وصلت تاي إلى نزل «نورثبورت» وهو بناء أبيض يعود بناؤه إلى أواخر القرن الثامن عشر.

سلكت ممراً مرصوفاً بالأحجار على جانب المنزل، وارتدت نحو الباب الخلفي... وبسبب انشغال ذراعها بهذا الحمل لم تستطع فتح الباب أو دق الجرس، فكان أن رفس الباب بقدمها... أخيراً انفتح الباب على يد امرأة سوداء الشعر، بنية العينين، في الثلاثين من عمرها... إنها كينان داتسوم شقيقتها الكبرى مالكة فندق نورثبورت ومدبرته.

قالت كينان: «طلبت منك أخذ السيارة لأنني أعرف أن المشتريات كثيرة وثقيلة».

أخذت الأكياس منها وارتدت إلى المطبخ المضاء بشكل جيد والمجهز بأحدث الأدوات، وهي تعتبره فخرها ومصدر فرحها وكانت قد أعادت تحديثه ما إن اشترت النزل في الربيع المنصرم.

ردت تاي وهي تضع ما تبقى من أكياس على الرف الخشبي الطويل المحاذي للمغسلة.

- حملتها وأنهى الأمر!

أفرغت أحد الأكياس وراحت تخرج كرتونات البيض الطويلة وهي تلمح نظرة على كل منها لترى ما إذا كانت إحداها مكسورة.

- إن وجدت بيضة مكسورة فسأقيم عليه دعوى.

رفعت كينان حاجبها عجباً:

- عليه؟ من هو؟

- ذلك الرجل الذي اصطدمت به وأنا أغادر المخزن... يا إلهي ما

أشد فظاظته! إنه طويل وقاسٍ شعره أشقر كثيف... هل تعرفينه؟

قالت كينان بحزم: «ميردت لايتون».

نظرت إلى أختها بفضول... قبل يومين عندما وصلت تاي إلى

النزل كانت وجتها شاحبتين أما الآن فهما متوردتان وعيناها

الكهرميتان السوداوان برّاقتان... التوت شفتا كينان ببسمة عابرة، يبدو

أله ما زال هناك شيء من الحياة في تاي رغم المرض الذي عانته

الخيراً.

قالت تاي بجفاء:

- هو معروف إذن؟

- معروف بفظاظته وأخلاقه... أجل.

- بل بافتقاره إلى الأخلاق واستخدامه اللغة بشكل سيء... هذا

دون قول شيء عن رأيه بالنساء... أين يعيش؟

- في منزل لايتون، في «بيكرنج بوينت».

رفعت تاي رأسها: «أحد أفراد لايتون... لم أعرف أن أحداً منهم

ما يزال على قيد الحياة... في آخر إجازة كنت فيها هنا مع والدي، مات

جايسون لايتون وأقفل المنزل بالألواح الخشبية... وأذكر أن الشائعات

ذكرت أن لا وريث له».

ملأت كينان الطنجرة بالماء:

- حسناً . . كانت الشائعات على خطأ . . فميردت لايتون على ما يبدو حفيد أخي جايسون الصغير الذي ترك نورثورت منذ سنوات عديدة للسعي إلى الثروة في مكان ما . . ولقد ورث ميردت الأملاك بعد موت جايسون . . لكنه لم يأت ليرى ما ورث أو ليسكن فيه . . وكان جوزف مالك كاب يعتني به نيابة عنه .

وضعت الطنجرة على أحد دوائر الطباخ الكهربائي . . ثم سألت :
- أتريدين بعض القهوة وقطعة حلوى قبل البدء بتحضير العشاء لنزلاء الليلة ؟
- هذا عظيم .

خلعت سترتها الواقية من البرد وعلقتها وراء باب المطبخ ، ثم أبعدت شعرها البني القاتم الحريري عن وجهها وجلست عند الطاولة الخشبية المركزة أمام النافذة .

قالت كينان فجأة وهي تتناول أكواب القهوة من الخزانة :
- إنه نصف أعمى . . تعرض لحادث تركه أعمى ومقعداً فقصد هذا المكان للاستشفاء . . هو الآن قادر على السير ولكن بصره ما زال ضعيفاً لذا لا يرى جيداً . . لهذا السبب ربما لم يرك وأنت تخرجين من المخزن .

تأوهت تاي : «آه ! لا . . آه ! ماذا فعلت ؟»
- ما الأمر ؟

- عندما اصطدمنا صاح بي وقال لماذا لا أنظر أمامي . . فرددت عليه : لماذا لا تنتظر أنت ! وما أنا الآن نادمة ندماً رهيباً . . ما كنت لأرد عليه بحدّة لو عرفت أنه شبه أعمى !

علقت كينان : «أولست هذه عادتك ؟»
- حسناً ، شمتني ففقدت أعصابي ، كان متعجرفاً !

- همم . . أعرف قصدك . . إنه رجل قاسٍ . . ولكن لولا قسوته لما استطاع العيش بمفرده طيلة الشتاء القارص .
وضعت ملعقتي قهوة سريعة الذوبان في كوبين من خزف . . وراحت مخيلة تاي النشيطة تتعاطف مع الرجل الذي لم تره إلا لهنيئات لليلة .

- بمفرده؟ ألا يعيش أحد معه؟ ألا يساعده أحد؟ أظن أنه عندما وصل إلى هنا كان بحاجة إلى عون لأنه لم يكن قادراً على الرؤية أو السير بشكل ملائم ، وهذا أسوأ عقاب ينزل بشاب صغير مضطرب بالحيوية والنشاط .

أردفت همساً : «آه ! لينتي لم أقل ما قلته !»
ردت كينان : «ما زلت كما أنت . . رقيقة القلب ، وحساسة ، في البدء كانت تعيش معه . . امرأة . . - زوجته؟»

- لا . . فلم تكن تضع خاتم زواج في يدها . . كانت تقوم بشراء أغراضه ، لكنها لم تكن تتكلم مع أحد كثيراً ، لذا استنتجنا جميعاً ما استنتجناه عن علاقتهما . . لكنها رحلت قبل الميلاد يقليل إذ لم تتحمل العيش في ذلك المكان المهجور كما اعتقد .

تنهدت تاي : «أولم نستطيع العيش معه . . مع ذلك ما زلت نادمة على ما قلته له . . ولكن كان عليه أن يحمل عصاً بيضاء أو ما يماثلها .»
سألتها ساخرة : «وهل كنت قادرة على رؤيتها وأنت تحملين أحمالاً محتملة ؟»

- لا . . لا أعتقد هذا . . إذ لم أكد أرى شيئاً من فوق الأكياس . آه . . كان على حق . . لم أكن أنطلع إلى أين أسير . . سأبحث عنه فوراً لأعتر منه .

تناولت سترتها التي ارتدتها. . لكن كينان قالت لها بصوت جاد كثيراً:

- تاي. . دعي هذا. . ميردت لايتون رجل متكبر، وستزيدن الأمور سوءاً إن أسرعت إليه في الشارع لتشرحي له وتعتذري. . وإلى ذلك يا عزيزتي ردك مبرر، فلم يكن يحق له أن يكون فظاً معك. . وقتت تاي بالباب الخلفي مترددة وأصابعها على أكرة الباب. . أضافت كينان: أضيفي إلى ذلك أنه الآن في طريق العودة إلى منزله «بيكرغ بونيت». . تعالى واجلسي واشربي القهوة، ثم باشري العمل بتحضير الفاكهة للحلوى التي أريد تحضيرها لعشاء اليوم. . إذا كنت باقية هنا فترة، فعليك العمل ولن يكون لديك وقت للجري وراء رجال غرباء.

- حسناً، حسناً سأترك الأمر الآن.

خلعت سترتها مجدداً وعلقتها.

جلسنا حول مائدة خشب القيقب المركزة أمام النافذة المقوسة الشكل التي تطل على حديقة النزل الخلفية والتي أزيلت منها أكوام الثلج التي تراكمت في الزاوية خلال الشتاء القارس الذي عانت منه ولاية «ماين». ما زال العشب خالياً من الحياة ولكن الأزهار في المساكب بدأت تظهر مبشرة بقدوم الربيع.

قالت تاي: «ما زالت الرياح باردة. . أشعة الشمس مخادعة. . كم نزيلاً نتوقعين في نهاية الأسبوع؟»

- هناك ثلاث غرف محجوزة ولكن قد يصل غيرهم، خاصة إذا بقيت الشمس مشرقة. إنه عيد الفصح، إن بعض سكان المدينة يحجون المجيء إلى هنا في مثل هذا الوقت من السنة لزيارة ميناء السفن لإلقاء نظرة على قواربهم بعد الشتاء، هاك. . خذي قطعة حلوى أخرى. أنت

لمحيلة وكأنك تعانيين من سوء التغذية.

عبست كينان بقلق:

- هذا ما لا أرجوه. . لأن أمني لن توافق على مظهرك أبداً.

- حسناً، إنها غير موجودة هنا لتبدي اعتراضها. . هل وصلتكم الأخبار منها مؤخراً؟

- وصلتني منها رسالة في الأسبوع الماضي. . إنها قادمة في شهر تموز. . هل تعرف بانفصالك عن برناي؟

- لا. . لم أخبرها. . أنا. . أنا. . أوه. . لا أريد منها أن تقول لي «ألم أقل لك هذا».

- وماذا قالت؟

- قالت إن علاقتنا لن تدوم.

- وهل ذكرت الأسباب؟

عبست تاي: «نعم ذكرت عدة أسباب منهما سببان صحيحان».

- وما هما؟

- قالت إن ديانة برناي ستقف حائلاً بيننا.

- وما كان السبب الآخر؟

- السبب الثاني برأيها أنه من غير الجيد الزواج بشخص يعمل في المهنة ذاتها لأن هناك خطر الغيرة من نجاح الآخر.

تنهدت ثم أردفت:

- ولقد كانت على حق مرة أخرى. . في نهاية الجولة التي قامت بها

الفرقة الموسيقية أخذ المدير يعطيني معظم العزف المنفرد على «الكلارنيت»، وغضب برناي لهذا! عندما عدنا إلى نيويورك ترك الفرقة وسافر إلى بلاده. . أما أنا. . حسناً. . تعرفين ما تبقى. أصبت بالأنفلونزا التي تطورت وأصبحت التهاباً رئوياً، وكان أن اضطررت إلى

ترك عملي أيضاً .

قالت كينان مواسية :

- ولهذا أنت هنا . لتحسني صحتك . . المزيد من القهوة ؟

- لا . . شكراً .

- إذن قطعة حلوى أخرى . . إذن هكذا انتهت قصة حبك الكبير .
ولكنه ليس عذراً لتجوع نفسك أو إهمال حياتك .

- لكنك تعرفين كم من المؤلم أن يبتذك شخص . . بعدما تضعي
كل ثقتك به . . وبعدها صدقته بسبب تكرار جملة «أحبك» .

تنهدت : لا تفهمين ذلك لأنك لم تعقي في الحب قبل الآن .

- ألم أقع في الحب؟ وكيف تعرفين هذا؟

- لم يبد عليك هذا يوماً . . لم تخرجي مع رجل لفترة طويلة حسبما
أعرف . . وطالما كنت مهتمة بعملك وطالما عملت بمشقة لتأمين المال
لشراء فندقك الخاص .

- هذا صحيح . . وتعلمت أن أكون رئيسة طهارة ممتازة . . ومديرة
فندق بارعة . وهذا ما كان دائماً أهم عندي من أي رجل . . وأعتقد أنني
لم أعرف أحداً أردت فعلاً أن أعرف إليه لفترة طويلة . . منذ متى وأنت
تخرجين مع برنابي؟

- منذ أربع سنوات تقريباً .

تأوهت : «عندما أفكر في تلك السنوات أكاد أتقيأ! لقد ضاعت
أربع سنوات من عمري وأنا أعتقد أنه يحبني ويريد الزواج بي . أربع
سنوات من الوفاء والإخلاص له . . كنت في الثامنة والعشرين . . وما
كان الأمر ليكون سيئاً إلى هذا الحد لو تركته أنا . . إن النبت بعدما
تضحين لأمر مؤلم كينان» .

- انسيه . . فما من رجل يستحق أن يجعلك تبغين هذه الحالة التي

أنت فيها . . أخرجه حالاً من عقلك .

- أحاول . . بل أحاول جاهدة .

نظرت من النافذة إلى الخارج ثم أردفت همساً :

- انظري ، هذا طائر «أبو الحن» !

راقبت الطائر الأحمر الصدر وهو يرفع رأسه نحو العشب قبل أن
ينفذ بمنقاره الطويلة الأرض المعشوشبة :

- هذا يعني أن الربيع آت رغم شدة الريح وبرودتها .

تمتمت كينان بصوت هامس :

- الربيع وعد بحياة جديدة . . إنها رسالة لك ، تاي . . رسالة

الفرح . . ستتغلبين على ألمك ، وقبل أن تدري ستعفين بالحب مرة

أخرى ، فهذه هي طبيعتك . . فأنت غير قادرة على عدم الوقوع

بالحب . . والآن ، تعالي ، الوقت يمر وأريد صنع الحلوى .

- ماذا ستقدمين للعشاء هذه الليلة؟

- فطيرة توت بري . . وكريما طازجة . . ما زال لدي بعض التوت

البري من السنة المتصرمة في الثلاجة . لكنني أحب دائماً تقديم ما هو

حار في مثل هذا الوقت من السنة ، شيء يعبر عن إشراقة الشمس وعن

الصيف ، لذا سأعد فطيرة الجبن المفضلة عندي . . وسنستخدم التوت

المثلج مع كرات من البطيخ الأصفر . . عليك أنت أن تقطعي الكرات

بالمعلقة الخاصة . . لدي بعض الخوخ أيضاً ولكنه لسوء الحظ خوخ

معلب . . وسنزين وسط القالب بالكبوي . . فما رأيك؟

- لذيذة جداً ، أنت فعلاً فتانة كينان .

انحنيت كينان لتناول أدوات الطهي من أسفل الخزانة وردت :

- وأنت أيضاً تاي ، وهذا ما يذكرني . . في غداء الأحد الذي

سنقدمه ، سأعزفك إلى أحد أشهر المحترفين في نورثبورت دون

- أتقصدين عازف الكمان؟ ماذا يفعل في نورثبورت؟

- يعيش هنا . . فقد تقاعد منذ سنتين ، وجاء يعيش في أحد المنازل التاريخية في باي ستريت ، شرقاً . هناك عدد من الموسيقيين المحترفين يعيشون في تلك المنطقة وبعضهم يعلم الموسيقى في المدارس في ايلسوارث وفي بانغدر . . ولقد رتب دون أمر لقائهم بانتظام في منزله للتدريب والعمل معاً . في الواقع . . يفكر في إقامة حفلة موسيقية قريباً ، هذا إذا وجد قاعة مناسبة وإن التقى بك فقد يدعوك للانضمام إلى المجموعة الموسيقية .

- أظنهم جميعاً من عازفي الأوتار .

- لا . . فجاد ياشيمو يعزف البيانو .

- ياشيمو . . يبدو الاسم يابانياً .

- إنه ياباني فعلاً . . لكن جاد من مواليد كاليفورنيا . وشيلا

فايكلاند تعزف الفيولا ، إنها انكليزية جاءت من كندا ، وهي زوجة تود فايكلاند الذي يملك مخزن الأنبيكات المحلي ومعرض الفنون . وأعتقد أن هناك عضواً يعزف المزمار .

ابتسمت كينان لأختها وأردفت:

- أراهن أنك ستتناغمين بسرعة مع المجموعة . . والآن سأريك

كيف تقطعين البطيخ الأصفر .

وصل أول زوار نهاية الأسبوع في الثالثة من بعد الظهر . إنهما زوجان في متوسط العمر وهما آتيان من بروكلين ، نيويورك . . استقبلت كينان الزوجين ورحبت بهما في غرفة الاستقبال . المريحة الطويلة المفروشة بأرائك مريحة مغطاة بأغطية وردية . وفي الغرفة أيضاً طاولة أثرية مستديرة ورفوف للكتب وطاولات صغيرة . . ثم عرفتهما إلى تاي

التي قادتهما إلى الطابق الثاني .

كانت الغرفة التي أوصلتها إليها نموذج عن طراز النزل . . ولكنها هجر كبيرة لأن جزءاً منها أعد ليكون حماماً خاصاً . كانت مفروشة ببساطة ، فيها خزائن أدراج وسرير حديث مدثر بلحاف مقطع إلى أربعةات ملونة مصنوع يدوياً ، وخزانة قديمة الطراز . . وكانت البسط المنسوجة يدوياً تغطي الأرض الخشبية وثمة كرسي هزاز موضوع قرب النافذة المغطاة بستائر وردية ، وهي مطلة على حديقة النزل الخلفية وعلى سطوح المنازل المنتشرة على سفح التل حتى مياه مصب النهر الدافئة . . لقد سعت أختها جهدها للحفاظ على طابع القرن الثامن عشر وعلى جميع وسائل الراحة الحية في الوقت عينه بما في ذلك التدفئة المركزية والمياه الساخنة .

ما إن عادت تاي إلى غرفة الجلوس حتى وجدت كينان ترحب بالزوج التالي ومنذ ذلك الوقت ظلت تاي مشغولة بإيصال الناس إلى غرفهم ، وكما تنبأت كينان جذب الطقس الحار الشمس الكثير من الزائرين إلى القرية . وقت العشاء ساعدت تاي مرغو فوركس ، الفتاة الشاببة التي تعمل عند كينان ساقية وخادمة ، فقد كان عليها تلبية طلبات أكثر من عشرين ضيفاً حجزوا موائد للعشاء . . فيما بعد ساعدت أختها بتنظيف المطبخ فغسلت الصحون ووضعتها في غسالة الصحون الآلية ثم حضرت فطور الصباح التالي .

في الأيام الثلاثة التالية ، لم يكن لديها الوقت للتفكير في مشاكلها بسبب كثرة العمل وكثرة طلبات كينان التي كانت تصدرها بهدوء . ثم لما تنتهي كانت تأوي إلى غرفتها الصغيرة في السقيفة وتنام نوماً خالياً من الأحلام ثم تستيقظ باكراً كل صباح على صوت أختها التي تحثها على النهوض للبدء بتقديم وجبات الفطور .

يوم الأحد تغير الروتين قليلاً . . ولم يكن متوفراً للمستيقظين باكراً
أو الراغبين في الذهاب إلى إحدى الكنائس للمشاركة بقُداس الفصح إلا
القهوة والبسكويت لأن الوجبة الرئيسية اليوم ستقدم باكراً وستقدم ابتداءً
من الساعة الحادية عشرة على شكل «يوفيه» مفتوح . . وبما أنها غير
مضطرة لخدمة الموائد وجدت تاي الوقت الكافي لمحادثة دون بورتلاند
الذي عرفتها كينان إليه على أنها «شقيقتي الموسيقية» .

إنه رجل نحيل فضي الشعر في السبعين من عمره، عيناه سوداوان
بارقتان تقبعان تحت حاجبين سوداوين كثيفين . . وكان عازف الكمان
الشهير قد صاحب معه زوجته وابنته، التي كانت تزور أبيها برفقة رجل
شاب أسود الشعر، عيناه تدلان بوضوح على أنه من الشرق .

جاء هو قائد الفرقة هذا عدا كونه عازف بيانو ممتازاً . .

سألها جاد: «هل أنت باقية في نورثبورت لفترة طويلة؟»

ردت تاي: «لم أقرر بعد ولكنني سأبقى بمقدار ما تستطيع كينان أن
تحمّلني» .

إذن لست مرتبطة مع أور كسترا؟

عزفت مع إحدى الأوركسترات . . ولكنني اضطرت إلى ترك
العمل بعد جولة ريفية ممتازة منذ بضعة أسابيع . . فقد أصبت بالتهاب
رئوي وما أنا الآن في فترة نقاهة . . مع أن مساعدة كينان في هذا النزول لا
تعد أبداً نقاهة . . انشغلت فعلاً كثيراً .

قال دون:

إذن يجب أن تعزفي معنا . . يوم الخميس القادم في الساعة
السابعة، في منزلي . . حتى الآن لم تكن قد حدّدنا ما ستقدمه علناً وفي
الوقت الحاضر نبحث عن مكان . . أتعرفين مكاناً؟

ردت تاي: أنا لا أعيش هنا . . لكن شكراً للدعوة . . سأنتظر يوم

الخميس بشوق .

غادر المقيمون في النزول بعد فطور الصباح التالي فعاد النزول القديم
إلى هدوئه مجدداً . وتغير الطقس وحجبت السحب الرمادية الثقيلة
الشمس وهبت ريح قوية . . واندفعت طيور البحر من البحر تدور
وتزقق فوق سطوح المنازل، وطاف بعضها حتى حط فوق السطوح .

قالت كينان: «هذا ينذر بأن طقساً سيئاً على وشك القدوم
والأرصاء الجوبة تتوقع تساقط الثلج . . أحمد الله لأن الطقس كان صافياً
في نهاية عطلة الأسبوع» .

قالت تاي:

سأتمشى إذن قبل أن تهب العاصفة إن لم تكوني بحاجة إلي .

لا . . لن يكون لدينا أي زائر حتى نهاية الأسبوع القادم، واللييلة

لن أقدم العشاء لأحد، فاذهبي .

أترغبين في مرافقتي؟

لا . . شكراً، لدي موعد بعد ظهر اليوم .

برقت عينا كينان ببريق ساخر لأنها لاحظت نظرة تاي التي ملؤها

الاستفسار .

هنا؟

أجل . . هنا . . سيأتي مع خرائط رسمها لأقوم بالتوسيعات التي

أفكر فيها في نهاية غرفة الطعام . . سيكون هذا نوعاً من «صالون»

ومقهى يمكن للناس أن يجلسوا فيه ليشرّبوا شيئاً وهم ينتظرون

العشاء . . قدمت طلب ترخيص وآمل أن يأذن لي به . .

أنت تتوقعين مجيء المهندس؟

أجل . . إنه مهندس من نوع ما، واسمه شاركي سوير وهو يملك

فناء القوارب وقد صمم وبنى عدة مراكب خشبية جميلة .

نظرت كينان إلى ما حولها من الرفوف الخشبية إلى الجدران المغطاة بالخشب المصقول، التي علق عليها أدوات الطبخ النحاسية وأضاف:

- هو من صمم هذا المطبخ كما شارك في بنائه حين سارت الأمور ببطء في الشتاء الماضي .

رأت تاي في عيني أختها بريق فخر أثار اهتمامها مجدداً . فعلمت قائلة:

- أعتقد أنك بشوق لرؤية تصميماته التي أعدها لغرفة الطعام، هذا عدا رؤيته . أعد أن أبتعد عن طريقك مدة ساعتين . . أراك لاحقاً .

ارتدت ثياباً دافئة: سروالاً من الجينز، وسترة واقية من الريح، وقبعة صوفية وقفازين صوفيين ألوانها براقا وانتعلت مداساً عالياً ثم انطلقت لتسير نزولاً في شارع «ماين ستريت» .

كان الشارع ضيقاً لا رصيف له، وهو يتبع خط مصب النهر المتعرج . . على كلا جانبيه تصطف بيوت خشبية قديمة غير متشابهة . للمنزل الأول لوحة نحاسية مثبتة على جداره تظهر أن له قيمة تاريخية فقد بني عام ٨٠٠م لطبيب حارب ضد الإنكليز في الثورة الأميركية .

من ناحية الشارع الآخر، منزل أصغر حجماً معروف بأنه «منزل الخطيئة» لأن صاحبه الأصلي كسر التقاليد الدينية، بالعمل أيام الآحاد في بناء المراكب خلف المنزل، فناء المراكب المكتظ بصواري المراكب . . وخرج رجل من باب المنزل الأمامي مرتدياً سروالاً من الجينز وسترة واقية وتحت ذراعه لفافة ورقية وهو في حوالى الأربعين من عمره، نحيل، رمادي الشعر .

هز رأسه بود لتاي، وتوجه إلى شارع ماين . . راقبته ملياً ثم تكهنت أنه شاركي سوير الذي هو الآن في الطريق لرؤية كينان .

مرت تاي بالكنيسة البروتستانتية ذات النوافذ الملونة والأبواب الخشبية المصنوعة من السندبان . . كم مرة حضرت القداس فيها حين كانت تقيم صيفاً مع أبويها في نورثبورت . . طالما أقاموا في أحد الأكواخ المواجهة لمصب النهر .

متى سارت هنا آخر مرة؟ أه . . منذ ثماني سنوات تقريباً . آخر عطلة أمضتها مع والديها كانت في الثامنة عشرة، وكانت قد تخرجت للتو من الثانوية العامة وتخطط للذهاب إلى نيويورك لدراسة الموسيقى . ثماني سنوات من عمرها مضت بسرعة غريبة . . ثماني سنوات من الإخلاص لمهنتها التي اختارتها بنفسها، وهي مهنة أبيها .

ارتجفت شفتاها واغرورت عيناها بالدمع فقد تذكرت والدها الحبيب، آلان داتسام . . رجل نشيط، وحساس، متحدر من أصلي إيطالي، ولكنه مات منذ أكثر من ثلاث سنوات بالسرطان . إن أول درس لمي الموسيقى تلقته منه، ومنه تعلمت إدارة شريط التسجيل لمعزوفة سوبرانو وهي في الخامسة من عمرها . . كان يعزف في قسم المزامير الخشبية في فرقة موسيقية، وكم كان سير وهو يراها عازفة كلارينيت ناجحة . . كم تفتقده!

ربما لهذا السبب التجأت إلى برنابي كورنتر فقد أرادت الدعم العاطفي والنصيحة الموسيقية . . كان أستاذاً في معهد الآلات النفخية، واقترح أن تنضم إلى الفرقة الموسيقية التي كان يعزف فيها . . ولكنها أحبتهم رغم نصيحة أمها . . للجنة . . لا تريد أن تفكر فيه . لقد قصدت هذا المكان لأنه لم يكن فيه يوماً . . هذا المكان المشهور بهدوئه وسكنته .

مرت بأقدم منزل في القرية، وتابعت سيرها . إنه منزل من طابقين، في فناءه الخلفي أشجار تفاح قديمة وقد بني عام ١٦٦٤ على يد أحد

المستوطنين الإنكليز الأوائل. خلف المنزل ركام مرتفع مغطى بالعشب، وهو كل ما تبقى من قلعة قديمة بناها المستوطنون الفرنسيون.

وفي مكان أبعد منه قليلاً المتحف الذي يحتوي على الآثار الهندية والأسلحة المختلفة.

أمامها الآن لوحة تحمل كلمات «بيكرنغ بوينت لايتهاوس» - منارة بيكرنغ بوينت.

مالت تاي لتجنب الرياح، وشقت طريقها في الممر لأنها تريد السير حتى المنارة القديمة التي هجرت منذ زمن طويل لمصلحة منارة حديثة آلية تقع عند أقدم الجرف الصخري الحاد. سرعان ما ستشاهد أمامها البرج الأسطواني ذا القمة المدببة المطلية بالأسود، حيث كان النور يوماً يومض ويرتفع بقوة إلى السماء.

بدأ الثلج بتطاير. وما هي إلا ثوان حتى غطى الثلج العشب بلونه الأبيض، وأخذت غابة الصنوبر القابعة إلى يمينها تخشخش وتناوه بسبب هبوب الرياح. آن وقت العودة لأنها ستعلق وسط العاصفة. ولكنها تابعت المسير عازمة على إلقاء نظرة على البحر وهو يتكسر على الصخور عند قدمي الجرف.

كانت الرياح تصفعها بقوة فأصبحت وجتها حمراوين ولكنها وصلت إلى حافة الجرف الصخري، ونظرت إلى الخليج العريض. لا أثر للجزر ولا لتلال «كناديان هيلز» الكندية التي كانت تبدو من بعيد، فكلمها متوارية وراء ستار من الثلج المتراقص. رأت الأمواج تقفز وترتفع ثم تنحطم فوق الصخور السوداء، وشعرت بالبرد يخترق عظامها فارتدت وبدأت تحت الخطى لتعود من حيث أتت، وكانت الرياح تدفعها والثلج يتساقط عليها.

وجدت أنها ستصل بسرعة إن اخترقت غابة الصنوبر وصولاً إلى الشارع. وطالما سلكت في الماضي هذا الطريق لذا لم تتردد في الانحناء تحت ما بدا لها سياج جديد.

لكن ما كان ممراً ظاهراً لم يكن الآن سوى أعشاب نامية متشابكة والشجار متساقطة كان عليها أن تشق طريقها من بينها بصعوبة وبسبب هذا هيزرت اتجاهها أكثر من مرة حتى فقدت الإحساس بالاتجاه. من لولها سمعت صوت أغصان الأشجار وتناوت. على مستوى النظر، الغصان أخرى كانت تتدلى وتشد سترتها وتخدش خديها وتهجم عينيها أحياناً. بدا لها أنها علقت في كابوس مشؤوم أخضر. تعثرت بصخور خفية وبجذوع الأشجار المتساقطة. ليتها لم تقرر اتخاذ هذا الطريق. تذكرت قصصاً سمعتها عن أخطار السير في الغابات وقت الشتاء، وكيف أن أشخاصاً ضاعوا فيها إلى الأبد.

أخيراً رأت فسحة بين جذوع الأشجار. فسحة مغطاة بالثلج المتساقط. فاتجهت إليها لتجد أنها عند طرف الغابة وأنها تشرف على حقل مغطى بالثلج في نهايته منزل مثلث السقف. بدا لها رمادياً قاتماً بل هو أكثر اسوداداً من الأشجار والغيوم التي وراءه. إنه مغطى بالثلج ويبدو أشبه بشيح مخيف.

أدركت أنها بعيدة كثيراً عن الشارع. فبدل أن تتجه يميناً في الغابة لطلعت الغابة مباشرة. ولكنها لن تعود إليها ثانية. ستتابع السير في الحقل وصولاً إلى طريق النزول الداخلية التي تراها من بعيد بين صفين من أشجار الصنوبر وستقودها هذه إلى الشارع، ومن هناك ستتمكن من الوصول إلى «بيكرنغ لاين» فمابين ستريت، فالثلة فوق النزول.

ناحت الرياح وصفق الثلج وجهها. العاقل لا يخرج أبداً من منزله لمثل هذا الطقس، حتى ذلك الرجل الجلف الذي يعيش في المنزل

القديم . . وكما قالت كينان: إنه مكان مهجور . . مع ذلك تذكرت المنزل وهو ينعم بدفء أشعة الشمس، ونوافذه تعكس النور، وتذكرت كذلك هذا الحقل وهو مليء بالزهور البرية والعشب الأخضر المتمايل بسبب نسيم الصيف الخفيف . يومذاك بدا لها المنزل وكأنه قصر خرافي فيه أميرة جميلة . . لكنه الآن يبدو أشبه بخرابة يعيش فيها وحش .

ضحكت من نفسها بسبب سخف ما تصوره لها مخيلتها ثم تعثرت بصخرة كانت الثلوج تغطيها فوقعت أرضاً وعندئذ ارتطمت ركبته بصخرة أخرى فتسلل الألم إلى ساقيها وهذا ما جعلها تنهق حين ركعت . . ببطء طوت ركبته . . المزيد من الألم، ولكنها تمكنت من الوقوف . . نظرت إلى ما حولها ثم بدأت تمرج بابتجاء صف الأشجار التي تحيط بممر المنزل . . كانت ركبته المصابة تلتوي بالألم وقد احتاجت إلى كامل قوتها لتستطيع متابعة السير .

أخيراً وبعد الوقوف عدة مرات لتلتقط أنفاسها، وصلت إلى ممر المنزل الداخلي واستندت إلى جذع شجرة وهناك راحت تتحسس ركبته من فوق قماش الجينز . . شعرت بانتفاخ وكأنه بيضة على ركبته، وعندما ضغطت عليها بأصابعها أحست بالألم حاد .

نظرت إلى الممر الداخلي . . بدا ملتقاً بعباءة من الثلج المتساقط بجنون . . آه! كيف ستصل الآن إلى النزول فأمامها أميال للوصول وهذه الساق لن تساعد أبداً لاجتياز هذه المسافة .

ستجد بالتأكيد العون من أول منزل تصل إليه . . لكن منزل لايتون هو الأقرب . . أدارت رأسها ونظرت إليه . . بدا أسود، مرتفعاً . . ما هي إلا خطوات حتى تصل إلى الدرج العريض فالشرفة الواسعة وهناك تستطيع قرع الباب .

دفعت نفسها بعيداً عن الشجرة، وبدأت تمرج نحو المنزل، لكن

الفترة القصيرة التي استراحت فيها، تسببت بتصلب ساقيها اليمنى وأصبحت بلا فائدة، فقدت توازنها مجدداً، ووقعت فوق كومة ثلج . تصاعد عويل الرياح فوق قسم الأشجار وتطايرت رقع الثلج الصغيرة فوق الأرض . . عما قريب سينغطيها الثلج ويدفنها! جعلتها المفكرة تنقف مجدداً وتجاهد للوصول إلى المنزل .

تابعت المسير بخطوات عرجاء ولكنها لم تتمكن من ارتقاء الدرج إلا بمساعدة يديها وقدميها ثم انهارت على أرض الشرفة وراحت تجرّ نفسها حتى وصلت أمام باب أثني فوقه قوس حديدي مروحي ومقرعة نحاسية . جرت نفسها إلى الباب، ودقت بيدها على القسم السفلي منه . لم تسمع شيء من الداخل . . فدقت بقوة أكبر عدة مرات . . ثم أصفت . . لأنها ظنت أنها سمعت نباح كلب . . قرعت الباب مرة أخرى .

بعد فترة بدت لها ساعات، انفتح الباب ببطء وخرج منه نور باهت . . رفعت تاي رأسها . . إنه ميردت لايتون، شعره الفاتح اللون يلمع تحت النور الأصفر ونظارته السوداء تنظر إليها مرتعية على الأرض، إلى جانبه كلب . . كلب رعاة الماني جميل، متعجرف، لطيف، حوله السترة الخاصة بكلاب العميان .



تغاضى عن ملاحظتها وانتقادها، وتابع النظر إليها وكأنه يحاول رؤيتها. ثم قال بصوت متشدق:

- أنت المرأة التي اصطدمت بي أمام السوبر ماركت.. أليس كذلك؟

- أجل.. أردت أن أعذر لك عن هذا.. لم أعرف أنك.. لا تستطيع الرؤية جيداً، وإلا لما قلت ما قلته.

سأل بعدها: «من قال لك إنني لا أرى جيداً؟»

- أختي كيثان.. هي مالكة فندق نورثبورت.. ولكن لم يكن يحق لك أن تشتمني بتلك الطريقة.

لم يقل شيئاً.. لكنه تابع النظر إليها.. وبدأ أنه لا يجد غرابة في الموقف فهي مستقلة على الأرض عند قدميه.. ووراء الشرفة كان الثلج يتطاير كالدوام والرياح تعصف.

تمتمت تاي: «هذا جنون.. أرجوك دعني أدخل لأستخدم هاتفك حتى أطلب من أختي المعجى بسيارتها إلى هنا لاصطحابي. لن أستطيع السير حتى الفندق.. ركبتني متورمة وأخاف أن تتأذى كثيراً إن سرت عليها.

دنا منها فشعرت بالخطر لكنها لم تستطع الابتعاد.

- أبة ركية؟

همست بصوت متألم:

- اليمنى.

ركع أمامها فجأة وامتمدت يدها الكبيرتان بحثاً عنها.. لاسس ساقها لم بدأت يده تنزلق حتى ركبتها.. أصيبت بالذعر والمفاجأة بسبب لمسته فتشجعت عضلاتها.. توقفت يدها عن الحركة ثم أدار رأسه وكأنه

٢ - التجربة المدمرة

زمجر الكلب بصوت منخفض وأبرز أسنانه، فأمره ميردت لايتيون: «اصمت كوت!»

نظر إلى عتمة الشرفة:

- هل من أحد هنا؟ من هناك؟

ردت تاي بصوت متكسر:

- هذا.. أنا.. أنا.. أنا تاي دانسام و.. أوه.. أرجوك، لا تقفل الباب! ولا تذهب.. أرجوك! أنا.. لقد أذيت ركبتني ولا أستطيع السير.. هل لي أن أدخل وأستخدم هاتفك.. أرجوك؟

انفتح الباب على مضض وخرج منه منسائلاً:

- ماذا تفعلين هنا؟

- خرجت أنمشي حتى وصلت المئارة القديمة، وعندما عدت كان الثلج قد بدأ ينهمر، ففكرت أن أسلك طريق الغابة وصولاً إلى الشارع..

قاطعها: «كنت تتسللين إذن.. لم يكن يحق لك المعجى إلى هنا.. لماذا لم تسلكي ممر المشاة العام؟»

- لم أجده.. الأعشاب في الغابة كثيفة.. وفيها أشجار متساقطة وأعشاب متشابكة.. وكنت محظوظة لأنني وجدت طريقي إلى هنا.. كانت الغابة جميلة حين كان جابسون لايتيون حياً.. كان يجيد الاعتناء

ينظر إليها.

- حسناً.. لا بأس عليك.. لن أستطيع التأكد من إصابتك قبل إدخالك إلى منزلي. وبما أنني لا أرى جيداً.. فأنا أرتاب من الغرباء خاصة النساء فمنذ أن فقدت بصري حاولت أكثر من امرأة استغلالي.

ردت بحدة وهي تستشيط غيظاً:

- أنا لست هكذا.. أه! ليتني أقدر على السير.. أه!

صاحت لأنه تجاهل احتجاجها، ووضع يده على الركبة المصابة وضغط على التورم.

- همم..! تبدو فعلاً متورمة.. حسناً، بإمكانك الدخول واستخدام الهاتف.

قدم لها يده فأمسكتها وتمكنت من الوقوف.. ولكن عن غير سابق إنذار التفت ذراعاه حولها ورفعها بسهولة وكأنها لعبة من قش، وحملها إلى المنزل.. قالت بصوت ضعيف:

- أرجوك أنزلني.

لكنها وبأللهشة اعترفت بينها وبين نفسها أنها تستمتع لأنه يحملها بمثل هذه الطريقة المتسلطة.

تجاهل احتجاجاتها ثانية وحملها من ردة مرتفعة السقف قليلة الإضاءة مكسوة بالواح خشبية، إلى غرفة كبيرة لها ثلاث نوافذ طويلة يتسلل منها نور رمادي. وهناك أجلسها على أريكة ضخمة مرتفعة الظهر، مغطاة بقماش مطرز يدوياً.

- أقترح عليك أن ترفعي ساقيك إلى فوق.

نفذت ما اقترحه عليها، بدأت تخلع مداسها المرتفع الساقين.. كانت تفتح سحاب الحذاء حين عاد حاملاً الهاتف بيده، وضع الجهاز على طاولة مغطاة بالغبار والصحف والمجلات. ثم ابتعد مرة أخرى من

الباب إلى الردهة، في هذا الوقت كان الكلب يتعقبه أينما سار.

التقطت الهاتف ووضعت في حضنها ثم رفعت السماعة ولكنها لم تسمع أي طنين، مع ذلك طلبت رقم المنزل.. سمعت صوت طقطقة لبعضها صوت هسيس. فأعادت السماعة وانتظرت، ثم رفعتها ثانية.. لا شيء.

عاد ميردت لايتبون إلى الغرفة، فقالت له:

- هاتفك مقطوع.. الخط معطل.

- وهل طلبت الرقم الذي تريدينه؟

أزاح بيده بعض ما على الطاولة وجلس على طرفها قبالة تاي بحيث أصبح على مستوى واحد معها.

- أجل.. ولكنني لم أتلق شيئاً.. هاك خذ السماعة.

أعطته الآلة التي وجدها بيده بدون تردد. الواضح أنه يراها.. فهو على مقربة من تاي.

تمتم: كانت على ما يرام هذا الصباح. ما الرقم الذي تريدينه؟

ذكرت الرقم، فراقبته يطلبه بإصبع طويل بلا تردد.. بعد لحظات أعاد السماعة مكانها.

- أنت على حق.. إنه معطل.. تتعرض إلى أشياء كهذا في الشتاء.. ماذا الآن؟

كانت النظارة السوداء موجهة إليها بشكل مباشر.. فسألت آملة:

«هل لديك سيارة؟»

- لا.. وما نفع السيارة لمن هو مثلي؟ أنا لا أرى جيداً فكيف

أحصل على رخصة قيادة.

- لكنك دخلت المنزل وهذه الغرفة وكأنك ترى أين تذهب.. ثم

طلبت الرقم وكأنك ترى الأرقام؟

- أستطيع الخروج والدخول من المنزل.. وأستطيع التحرك فيه
لأنني أعرف تفاصيله.. وأنا أرى الأشياء إن كنت على مقربة منها.
- وهل تراني الآن؟
- طبعاً.. أستطيع رؤية شكل وجهك، وأين هي عينك، وأين هو
ثغرك.

مال إليها بحيث استطاعت رؤية شكل عينيه من خلال زجاج نظارته
البنية، وبريق بياضهما ورأت الشعر الذهبي النامي على لحيته وفوق
شفته العليا، وتحت ندبة تبدو وكأن البشرة مزقت ثم أعيد جمعها..
عندئذ أدركت أنه وسيم.

تمتم برقة: وعيناك بنيتان ذهبيتان، كبيرتان، مستديرتان
ومفتوحتان، تظنان إليّ بريبة.. لست سيئة المظهر.. بل لولا إرهابك
لبدوت أفضل مظهراً.

ابتعدت عنه واستندت إلى ظهر الأريكة: «ليس وجهي مرهقاً!»
- حسناً.. فلنقل غائرة الخدين..

اتسعت ابتسامته فظهرت أسنانه البيضاء الناصعة، عندئذ شعرت
بقلبيها يتراقص بشكل غريب واضطرت إلى الاعتراف بأنها منجذبة
إليه.. وهذا أمر غريب لأنها لم تنجذب قط إلى هذا النوع من الرجال
الجلفاء.. فطالما اهتمت بالمتقنين.. وطالما اهتمت بالفكر لا
بالمظهر الخارجي.

أضاف: «أنت كمعظم النساء، لا تحبين سماع الحقيقة عن
مظهرك».

- حسناً.. كيف سيعجبك الأمر لو.. لو قلت لك الحقيقة عن
مظهرك الآن؟ فبשמرك غير المسرح وبلحيتك هذه ونظارتك القائمة
هذه.. تبدو.. حسناً.. شريراً وبحالة مزرية.

- هاه!

أربكتها ضحكته القصيرة الفظة مجدداً.

أضاف: أنت امرأة جريئة تملكين القدرة على التعبير.. أنا إذن
شرير وبحالة مزرية.

- وهل أنت آسف على نفسك؟

- بالتأكيد.. وستشعرين بهذا الشعور لو قيل لك إن بصرك لن
يُحسن، وإن من الأفضل أن تتحلي بالأمل وإنك ستبقين دائماً عرضة
للإصطدام بالناس.. أو الأشياء لأنك لا تريتها.

همست مدعورة: «ومن قال لك هكذا؟»

- جراح عيون.. إنه أحد أفضل الأخصائيين.

- ومتى قال لك هذا؟

- في الأسبوع الماضي.. في نيويورك.. ذهبت إلى هناك لإجراء
لمحادثات.

- لكن معظم العميان.. العميان المصابون بعمى كلي يتمكنون من
العيش حياة مفيدة منتجة.. بعضهم أصبح نجماً معروفاً جداً.

- نجماً معروفاً؟

- كنت أفكر بعازفي الجاز وعازفي البيانو والكسفون.

- لا، إنهما مهنتان موسيقيتان.. والمرء لا يحتاج إلى الرؤية
ليعزف. على عكسي.. يجب أن أرى لأستخدم الكاميرا.

- وهل أنت مصور؟

- مصور تلفزيوني. كنت أعمل لمحطة وطنية في قسم الأخبار

العالمية.. كنت أنا وبارني هيوغان تصور تقريراً عن فنان في أميركا
الوسطى وفيما كنا نغطي الأحداث الدائرة بين الثوار وقوات الحكومة،
تضايق أحدهم من وجودنا ورمى قبلة يدوية علينا فقتل بارني ولبتني..

لينني قتل معه .

والتوى فمه وهو بهمس بكلماته .

همست تاي التي تألمت روحها الحساسة بسبب ما قال :

- متى؟ متى حدث هذا؟

رد دونما اكتراث : «ربما منذ ستين» .

هَبَّ عن الطاولة ليجلس في مقعد :

- منذ ذلك الوقت وأنا أكافح لأعود إلى الحياة . أتعلم كيف أقف

وكيف أسير ولكنه جهد ضائع .

ضرب ذراع المقعد بقبضة يده فانتفضت تاي والكلب معاً ، فالكلب

المستلقي على البساط أمام المدفأة استقام وشتف أذنيه ورفع رأسه ينظر

إلى سيده .

- ما نفعي وأنا لا أستطيع رؤية ما أريد القيام به؟

سألته تاي بحدة : «أوليس هذا انهزاماً؟»

- وهل لديك بديل آخر؟ لا يمكنك حتى البدء بفهم ما أشعر به .

- بل أنا قادرة على ذلك .

صمت ، فتعاظمت الظلمة في الغرفة فالنور الوحيد فيها كان وميض

النار البرتقالي . . وصدحت موسيقى غيتار لموسيقار برازيلي من راديو

عرفت أنه على رف الكتب المثبت في الجدار .

تقطع الخشب المشتعل الذي تتأكله النار وتأوهت الريح بشكل

مخيف في المدخنة ، فتحركت تاي بعدم ارتياح . . فصمت ميردت

لايتيون يشير الأعصاب ، وبدا أنه نسي وجودها . ولكنها ما لبثت أن

انتفضت مذهورة ما إن علا صوته :

- هل اسمك حقاً تاي؟

- وهل كنت سأقول هذا لو لم يكن اسمي؟

- لا أعتقد هذا . . إنه اسم غير عادي .

ران صمت آخر قصير :

- الطريقة التي جئت بها إلى هنا هذا المساء تذكرني بأبيات شعر

«لأدغار آلان بو» عنوانها الغراب الأسود . . أظنك تعرفونها .

- لا . . أنا لا أعرفها .

- لا شك أن هذا المنزل وعزلته ، وجنون الطقس في الخارج كانت

ستروك للشاعر . . بل من الممكن أنه كان في مكان مماثل حين كتب

قصيدة الشعر التي أذكرها :

«في منتصف ليلة عاصفة موحشة

وأنا أتأمل بضعف واكتئاب

كتب التقاليد الطريفة المنسية

مطرق الرأس أكاد أغفو سمعت طرقة على الباب

وكانها جاءت من يد خفية» .

توقف عن قول الشعر ، ثم ضحك . . فشعرت تاي مجدداً برجفة

تسري في أوصالها .

أضاف : حين طرقت الباب كنت أجلس هنا ، نصف نائم قرب

النار ، فتقدمت إلى الباب و . .

تابع شعراً :

«في عمق الظلام تطلعت . . وطويلاً وقفت ، أتساءل بخشية .

مرتأباً أحلم أحلاماً لم يجروء بشري يوماً . .

- آه ! توقف عن هذا ! كف عن إخافتي !

ترجلت عن الأريكة وألقت نظرة حتى وجدت حذاءها الذي

انتعلته . . فسألها بحدة : «ماذا تفعلين؟»

- أنتعل حذائي .

وجدت قبعتها الصوفية ودستها في رأسها، ثم أقفلت صاحب
سرتها الواقية، وجمعت شجاعتها ووضعت ثقلها على قدمها اليسرى .
- أنا . ركبتني أفضل حالاً الآن . لذا سأحاول الوصول إلى شارع
«بيكرنغ لاين» بحثاً عن أول منزل أتصل منه بأختي . لا شك أنها قلقلة
الآن عليّ، شكراً لتركك إياي أستريح .

عرجت نحو الباب . من خلفها سمعت ميردت يقول شيئاً، ثم
سكنت وقع خطواته خلفها . عندما وصلت الباب كان إلى جانبها
والكلب معه .
قال بلهجة منسلطة :

- لا تكوني حمقاء، لن تصلي أبداً إلى شارع بيكرنغ لاين في هذه
العاصفة الثلجية . ليس الآن خاصة وأنت تعرجين . يجب أن تقضي
الليلة هنا .

- لكنني لا أريد البقاء هنا الليلة، كما أنك لا تريد مني البقاء . بل
الحقيقة أنك لم ترغب في أن أدخل المنزل وقد بذلت جهدك منذ قليل
لإخافني . أنت لا تريدني هنا . لذا سأرحل .

خطت جانباً لتجاوزها متجهة إلى الباب، ولكنها وجدت الكلب
تحت قدميها . فقفزت كالمجنونة ووقعت أرضاً ضاربة ركبتها اليمنى
مجدداً . هذه المرة على إطار الباب الخشبي . كان الألم حاداً موجعاً
فشهقت صائحة وزمجر الكلب في وجهها بشراسة .

صاح ميردت لايتون :

- ماذا جرى؟ ناي . أين أنت؟

- أنا هنا على الأرض قرب باب غرفة الجلوس . .

أردفت متأوهة :

- تعثرت بالكلب وأذيت ركبتني مجدداً . آه ! . ماذا أفعل؟

أمر الكلب ليعتمد عليها وجثا إلى جانبها . امتدت يدها مرة أخرى
إليها، ولاست أصابعه خدها بتردد وكأنه أحب ملمس بشرتها ولكنه ما
لبث أن سحب يده مجفلاً .

صاح : «ليس لديك عقل؟ هل أنت هكذا دائماً؟ تغضبين وتهربين
بلا تفكير؟»

كان على مقربة شديدة منها فشعرت بدفء أنفاسه على وجهها
وشمت عطره . أحست بدفء جسمه يتدفق إليها، وسمعت خفقات
قلبه القوية . فجأة شعرت بتهور يدفعها للملامسة وجهه كما لامس
وجهها . . . وكم رغبت في تمرير أطراف أصابعها فوق لحيتة النامية أو
رفع يدها إلى الأعلى لترجع الخصلات الشقراء المغيرة من شعره عن
جبينه .

شدت قبضتها مذهولة من نفسها، إذ لم يسبق أن اختبرت مثل هذا
الطيش والتهور للملامسة إنسان ولم ترغب قط في تقديم المواساة
لرجل، المواساة التي تعرف أن المرأة وحدها قادرة على تقديمها له . .
وشدت قبضة يدها أكثر فأكثر كأنها تحاول منع أصابعها من الامتداد
إليه .

سألت بصوت أجش : «لماذا؟ لماذا تريد مني من الرحيل؟»

هز كتفيه وابتسم ابتسامة ملتوية :

- الله أعلم . . أعتقد أنك مضطرة للبقاء هنا . لا يمكنك الخروج في

هذه العاصفة الثلجية وأنت غير قادرة على السير، فقد تقعين مجدداً
وتعجزين عن الوقوف أو تنهين وعندئذ تواجهين عواقب أمر من
البحيم .

- لكن . . أختي ستشعر بالقلق عليّ . .

- ألم تخبريها أي طريق تستلكن؟

عشت شفتها:

- لا.. لم أخبرها.. لكنها قد تحزر أنني سأقصد المنارة وأعود
عبر غابة بيكرنغ، لأن هذا النوع من النزاهات كان المفضل عندنا حين
كنا نقيم في نورثبورت مع والدينا.. فجايسون لايتون لم يعترض قط
على استخدام الممر عبر الغابة.. ولم يقاضي أحداً لتسلله إلى أرضه.
- حسناً، بُلِّغَت الرسالة.. لكنه كان يملك مزايا لا أملكها.. فهو
عاش هنا طوال حياته أما أنا فغريب.. كما أنه كان قادراً على الرؤية أما
أنا فلا.. هل التقيت به يوماً؟

- عدة مرات، طالما تحدث إلينا عندما كنا نلتقيه في الغابة.. كان
سيداً عجوزاً لطيفاً.. ودمت الأخلاق أيضاً.
ضحك:

- وأنا لست هكذا.. يا له من لسان سليط.

- هل صحيح أنك قريبه؟

- صحيح، ولو بدا لك هذا غريباً.. جدي الذي اسمه ميردت أيضاً
كان شقيق جايسون الأصغر.. وكان ميردت متوحشاً ومتمرداً.. سرق
من جايسون صديقته وهرب معها.. وهي جدتي.. وتقول القصة إن
جايسون تآلم كثيراً بحيث لم يتزوج قط.. أه أظنك غير مستريحة وأنت
ممددة على الأرض هكذا.. هاك، دعيني أساعدك على الوقوف.

استقام واقفاً ومد كلتا يديه فأمسكتهما وشدت نفسها لتقف..
قربتها الحركة منه كثيراً.. لكن عندما حاولت تحرير يديها من قبضتيه
اشتدت أصابعه عليها، فرفعت نظرها إليه بسرعة بحركة دفاعية فوجدت
النظارة القائمة تنظر إليها.

بدا وكأن لحظات الصمت مشحونة بالكهرباء.. وشعرت ناي
بشعور غريب.. شعرت بأنها سبق أن وقفت معه في هذه الردهة وأنهما

أسكا بيدي بعضهما بعضاً.. رفعت نظرها إليه وانتظرت به بتزمت.

أخيراً همست: «هل أنت مثل جدك.. ميردت؟»

- لا أدري لأنني لم أعرفه قط.. لماذا تسألين؟

أندرتها الحاسة السادسة بسحب يديها من يديه.. ولكنها لم
لتحرك بل لم تستطع أن تتحرك.. كانت عالقة في تعويذة سحرية ما..
إنها مفتونة بهذا المتوحش الأشقر.. بقبضة يديه الدافنتين، بحركة
لملمته وهما تنفرجان.

عندما عانقها لم يتلق منها مقاومة.. راحت يدها تلمسان وجهها
برقة.. ناي التي كانت مؤمنة أنها لن تتأثر بعناقه لم تكن مستعدة لما
حدث.. فقد تفجر التجاوب في أعماقها واستجابات استجابة بدائية
للجوع اليائس الذي كان ميردت يعبر عنه بعناقه.

رفعت يديها بتهور إلى وجهه لتداعب وجنتيه اللتين تأذتا يوماً..
ولرلحت إليه أكثر، فاشتدت ذراعاه حولها بقوة تطبقان جسمها الرقيق
الناعم إلى جسمه القاسي الصلب.. في لحظات خالية من أي تعقل
شعرت بأنهما ملتحمان برغبة قلبية مشتركة تدمر دفاعاتهما التي بنياها
لحماية نفسيهما ضد مثل هذا الهجوم.

انتهى العناق فجأة كما بدأ.. ابتعد ميردت عنها وأسبل يديه إلى
جنبه ثم انزلت يداها بعيداً عن خذيها.. مع ذلك بقيت التعويذة، وظلا
ينبذالان النظرات بصمت وذهول ولم يكونا واعيين لما يحيط بهما من
إضاءة خافتة ومن طقطقة المنزل العتيق وتأوهات وهو يواجه عاصفة
الربيع العاتية.

أخيراً كسر ميردت التعويذة بحركة عنيفة من يده فكسر الصمت
أيضاً.. أطلق شتيمة تخدش الآذان جعلت ناي تجفل مرتدة عنه.

- عرفت أن شيئاً من هذا سيحدث حينما أدخلتك إلى المنزل.. لقد

أضيت وقتاً طويلاً بدون امرأة . . لقد دخلت رائحة بشرتك وشعرك والإحساس بك إلى رأسي وأثارتني .
 ضحك ضحكة قصيرة خالية من المرح، وأضاف :
 - أعتقد أن عليّ أن أكون مسروراً لمجيبك، فهذا يثبت أنني ما زلت طبيعياً في هذا المجال . لقد بدأت أقلق !
 عندما استوعبت ناي ما كان يقوله، انطلق جرس الإنذار في أعصابها وتلاشى آخر ما تبقى من السحر، لقد دمره كلياً كلامه القارس . صاحت بجنون :
 - إذن دعني أذهب . . دعني أغادر هذا المكان . .
 أمسك كفها ما إن حاولت تجاوزه فصرها أمامه . . مرة أخرى شعرت بهشاشة عظامها .
 - لا أستطيع تركك تذهبن . . ليس الآن، ستبقين .
 تركها فجأة، فتهاوت على الباب الذي أمسكت إطاره السندياني وتعلقت به كما يتعلق البحار اليانس بصارية المركب وقت العاصفة . . تشعر وكأنه رماها فعلاً في ثورة غضبه وإحباطه .
 قال بصوت أجش :
 - يا إلهي ! لا تنظري إلي هكذا ! لن أؤذيك . ما حدث الآن . . هو انحراف مؤقت .
 دس يديه في جيبيه وقام بجهد واضح ليسيّط على غضبه ثم قال بهدوء :
 - اذهبي واستلقي على الأريكة مرة أخرى . . يجب أن تريحني سائقك . . إنما عليك أن تذهبي إلى هناك بمفردك لأنني لن أحملك مرة أخرى . . هيا تحركي من هنا .
 وأشار برأسه إلى الغرفة التي يضيئها وهج النار .

قالت بصوت متقطع وهي لا تزال تمسك بإطار الباب الخشبي :
 - أنا . . أنا . .
 قاطعها راعداً :
 - هيا ! لا يمكنك الوقوف هنا طوال الليل .
 - أجل . . أنا . . سأفعل ما تقول . . لكن أرجوك، أضئ لي نور الغرفة ! أنا . . لا أريد الاصطدام بشيء، فقد أضرب ركبتي ثانية و . . أرجوك لا تصح بوجهي . . فأننا . . لا أحتمل صباح أحد . .
 - حسناً . . حسناً !
 بدا ساخطاً حقاً ولكنه دخل إلى الغرفة وكبس على مفتاح الضوء وعاد إليها يقول :
 - هاك . . تستطيعين الآن الرؤية . . ادخلي وأريحي سائقك وهدئي روعك فليس هناك ما يستدعي التوتر . قلت لك إنني لن ألمسك ثانية . سأذهب إلى المطبخ لأحضر لنا ما نأكله . . لقد تجاوز الوقت وقت العشاء .
 ارتدّ عنها ثم أعطى أمراً للكلب الذي اتجه واستلقى أمام الباب الأمامي، ثم تابع سيره في الردهة من باب آخر عرفت ناي أنه يقود إلى المطبخ .
 عندما عادت أدراجها إلى الغرفة لاحظت أن هناك مصباحين مضامين . أحدهما مصباح طويل على الأرض وراء الأريكة والآخر صغير موضوع على طاولة قرب المقعد الآخر . وصلت إلى الأريكة وجلست ببطء مائة ساقها اليمنى أمامها . خلعت قبعتها وحذاءها مجدداً ثم فتحت سحاب السترة وخلعتها ووضعتها مع القبعة على ذراع الأريكة العريضة، ثم أراحت نفسها في الزاوية الأخرى . . واستندت إلى الوراء رافعة قدميها عليها .

جسدها كله يكاد يحترق.. أكان يحترق خجلاً؟ لا بد أنه لاحظ
نجاوبها. لا ريب في هذا! آه! ليتها تستطيع الخروج من هنا! عناق
واحد استطاع به أن يخترق دفاعاتها ويحطمها وكأنها قشرة بيضة
وكشفها على ما هي عليه حقاً.. امرأة تحب الحب وتحتاج بكل بأس
لمن يحبها.

فتحت عينيها ونظرت إلى الباب، فهي قادرة على المغادرة أثناء
انشغاله في المطبخ.. لكن الفكرة لم تستقر في رأسها.. إذ لن تستطيع
تجاوز الكلب.. ثم.. هل تريد حقاً الخروج إلى هذا الثلج المتساقط
بغزارة حيث خطر الوقوع والضيق؟ لا.. إنها لا تريد ترك هذا الملاذ
الدافئ الآمن. حتى لو كان شخصاً قاسياً، نصف مجنون، ونصف
أعمى هو الذي يسكنه.. إنها مضطرة للبقاء هذه الليلة وتأمل ألا تصاب
كبتان بقلق كبير.. ربما غداً حين تهدأ العاصفة، سيأتي أحدهم
للتفتيش عنها وإعادتها إلى الفندق.



لأنها باتت بمفردها، بدأت ردة فعل ما حدث في الردهة تظهر
عليها. فاطلقت نفساً طويلاً في تنهيدة عميقة. وأغمضت عينيها..
عناق عابر مع غريب، إنه تجربة مدمرة، واشتدت حرارة خديها من
الذكرى.

كان ذلك «انحرافاً مؤقتاً» بالنسبة له.. فهمت ما يعني.. فهو رجل
مثير ذو تجربة، اعتماداً للتو قدرته الجسدية بعد إصابة خطيرة.. وخرج
عن طوره مؤقتاً.

لكن ماذا عنها هي؟ لماذا بادلتها العناق؟ ولماذا فقدت السيطرة على
ذاتها؟ ما الذي حدث للقيم الأخلاقية التي حفلت بها حياتها الخاصة
حتى الآن، وأهمها عدم معانقة رجل لا تحبه؟ أليس من المفترض أنها
تحب برنابي؟ ألم تقل لأختها إنها لن تقع في حب رجل مرة أخرى
بعدما نبذها؟

لكنها لم تقع في حب ميردت لايتون.. لا يمكن هذا.. لم يكن
لديها الوقت.. وعلى أي حال، معظم ما تعرفه عنه لا يعجبها.. إنه
متوحش فقط، متسلط، يظن أنه متفوق على النساء، وهو يشعر بالأسف
على نفسه لأنه لم يعد الصورة المثيرة لهن.. فلا شك أنه أغوى
الكثيرات من النساء اللواتي يحبين القوة المتوحشة.. حسناً.. هي
ليست واحدة منهن.

إذن.. لماذا استجابت لعناقه؟ أهو «انحراف مؤقت» منها كذلك؟
حاجة بدائية في أعماقها استجابت لحاجة بدائية مماثلة؟ تأوهت بياس
بسبب هذا الاكتشاف.. اكتشافت أنها قد تشعر بالانجذاب إلى رجل لا
تكاد تعرفه.

أغمضت عينيها مجدداً، ومؤخرة يدها على إحدى وجنتيها
الملتئنتين.. وتأوهت.. لكن لم تكن وجنتاها فقط الملتئنتان بل

لماذا لم تتمشي إلى مكان آخر هذا اليوم؟ لماذا بحق الله جئت إلى هنا؟
لماذا لم تلجأ إلى شخص آخر طالبة منه استخدام هاتفه؟ لن أرحب
بك أبداً... والآن... ما الأمر... ألا تحبين حساء السمك؟

- بل يعجبني... أما أنت فلا تعجبني... و... و... لولا عمالك
الجزئي لضربتك... ل...

صمتت لأنها تكاد تختنق غيظاً... لم تكن قط على هذه الدرجة من
الغضب... ولكنها لم تتعرض في حياتها المدللة إلى مثل هذا التهجم...
للم يحدث يوماً والداها أو أقاربها أو معارفها بمثل هذه الفظاظ... ولم
يمر أحد يوماً عن مشاعره العنيفة نحوها بمثل هذا العنف.

- لأنني عانقتك؟

- أجل... ولهذا أيضاً.

تناول ملعقة راح يغمسها في الحساء السميك اللزج الذي تطفو
لونه قطع الكرنكند الشهية.

تابع ساخراً:

- إذا أحسست برغبة في ضربني فلا تجعلني إعاقتي تعيقك... فمن
ظهر الصواب كبت المشاعر العميقة.

سألت بحدة: «ألهذا هاجمتني بعنف طوال الوقت؟»

- هذا صحيح... ولن أعتذر...

- على ماذا؟

- على تصرفي، وبالتحديد على عناقك... لقد استمتعت به
وبطريقة استجابتك لي، وهذا ما جعل منه تجربة للذكرى... للتفكير

لها في ليالي الأرق... أنت بالتأكيد غير ساذجة في هذا المجال...

توردت وجتأ تاي... وسمعت هديراً مرتفعاً في أذنيها... وقبل أن
لعي ارتفعت يدها اليمنى واصطدمت أصابعها بحدة بخده الأيسر.

٣ - جنون في الليل

عاد ميردت لايتبون الذي كان يسير بحذر شديد لأنه يحمل صينية
عليها طبقين من الحساء الساخن وسله خبز... عندما دنا من الطاولة
الطويلة أمام الأريكة، جلست تاي وأنزلت ساقها إلى الأرض وأبعدت
صحفاً ومجلات إلى جانب واحد من الطاولة مفسحة المكان للصينية.

وضع ميردت الصينية في الفسحة التي وفرتها تاي له، ثم ارتد إلى
الكروسي وقربه من الطاولة وجلس قبالة تاي... ثم قال ببرود:

- حساء السمك المقلب هو أفضل ما أستطيع تقديمه لك، مع خبز
معد منزلياً... تفضلي.

رفع سلة الخبز ومدها إليها... همست وهي تتناول رغيفاً اسطوانياً
ساخناً شهياً المظهر:

- شكراً لك... شكراً لك كثيراً.

كانت الصينية مغطاة بقماش أبيض فوقه سكاكين فولاذية لامعة
وملاعق من أفضل الأنواع... أما الطبقان فهما من الخزف السميك
الحافظ للحرارة... لم يسبق لها أن خدمها رجل... أو على الأقل لم
يسبق لبرنامجي أن خدمها... بل هي تشك في أنه قادر على تحضير وجبة
طعام... وكررت:

- شكراً لك... لأنك... لأنك أتعبت نفسك من أجلي!

رد آلياً: «أهلاً بك... لا... أنا أسحب هذا... لن أرحب بك هنا...»

ارتد رأسه قليلاً. أما هي فذعرت إذ لم يسبق لها أن ضربت أحداً. أرجعت يدها إلى الوراء، وتراجعت مرتبكة فوق الأريكة تبعد عنه خشية أن يرد عليها بشكل مماثل. لكنه ضحك:

- عرفت أنني مخطيء في الإشارة إلى خيرتك. أنت سيدة غير سهلة، ولكنك لست ساذجة. لست متزوجة فأنت لا تضعين خاتماً. فهل أنت مطلقة؟

- لا. لست مطلقة. آه! هذا حديث سخيف. لماذا أخبرك أي شيء عن نفسي؟

- لا سبب لهذا. ولكن إن لم تفعلني ستتالي تكهنتي. إذن أنت تقيمين في فندق نورثبوروت وهل تشاركين أختك عملها؟

- لا. فأنا أقيم معها مؤقتاً.

- ألا تعملين؟

- مؤقتاً. أنا فنانة مهتية الموسيقى. أعزف الكلارنيت. كنت أعزف مع أوركسترا سيمفونية لثلاث سنوات. لكنني أصبت في الشهر الماضي بالتهاب رئوي فجئت إلى هنا لأسترد عافيتي.

- كان عليك التوجه إلى الجنوب. إلى فلوريدا أو البهاما، أقصد إلى مكان تشرق فيه الشمس.

- لم أستطع تحمل السفر إلى مكان كهذا. كما أنني أردت مكاناً هادئاً أعرف أن ليس فيه أناساً كثيرين. ولطالما وجدت «ماين» مكاناً جيداً للراحة، وأنت. لماذا جئت إلى هنا؟ لماذا لم تذهب إلى مكان دافئ لتسترد صحتك؟

- جئت إلى هنا لأنني لا أملك مكاناً آخر أذهب إليه. أقصد، لا مكان يريدني أحد فيه، وأنا مثلك أردت أن أكون بمفردي.

- تأخرت زمناً حتى جئت إلى هنا. فقد توفي جابسون منذ ثمانين

سنوات، وكان ذلك آخر مرة أقضي فيها عظة مع أهلي هنا.

- مضت فترة طويلة حتى استطاع منفذ الوصية الاتصال بي ليخبرني بأنني ورثت المكان.

ضحك ضحكة صغيرة:

- لم يكن هناك من هو أشد مني ذهولاً، فبعد عودتي من إحدى المهمات وجدت أن عمي الأكبر الذي لم أسمع بوجوده ترك لي منزله ومالاً كثيراً لأنني الابن الوحيد لأخيه وابن المرأة التي أحبها. كان ذلك منذ أربع سنوات، وكنت يومذاك أنوي المعجى لرؤية المكان

ولكنني سافرت إلى الخارج مرة أخرى. وبعدما مررتني القنبلة البدوية، بقيت في المستشفى سنتين ولما خرجت وجدت أنه أصبلع مكان ألود إليه وألحق فيه جراحي، وأستجمع فيه صحتي قبل العودة إلى

العالم المجنون لتصوير أكثر الأحداث عتفاً، ولكنني ظننت أنني سأسترد بصري.

ضرب ذراع المقعد بقبضته وقال من بين أسنانه:

- اللعنة! كان علي أن أسترده!

التقط ملعقته مجدداً وتابع ارتشاف الحساء. راقبته تاي فلاحظت أنه لا يسكب قطرة من الحساء. فجأة شعرت بتوق متهور يكاد يدفعها إلى مد يدها إليه لمواساته ولمساعدته في التغلب على إعاقته.

عاد ليقول:

- ستة أشهر. قال الأخصائي عندما تركت المستشفى إنني سأسترد بصري بعد ستة أشهر من الهدوء والراحة، ولقد كان المكان هادئاً هنا بما فيه الكفاية. بل هو هاديء أكثر مما يجب.

واسترحت. يا إلهي كم استرحت! لم أكن قط خامداً كما كنت في هذه الفترة. ومع ذلك ما زلت غير قادر على الرؤية بشكل كاف بحيث

أستطيع التنزه في القرية بدون الاصطدام بشيء .. كما حدث معك .
رمى ملعقته في طبقه الفارغ وتراجع في مقعده .
- يبدو أنني سأبقى هنا ما تبقى من حياتي .. جنة بالية لا جدوى
منها ..

- لا .. آه .. لا تكن يائساً هكذا .. ستجد شيئاً مفيداً تفعله .
- ماذا .. مثلاً؟ ماذا ستفعلين إن لم تستطعي العزف على
الكلايرنت لسبب ما؟ ماذا ستفعلين لو فقدت سمعك ولم تميزي
الموسيقى؟
- من الطبيعي أن أنكدر فترة طويلة .. لكنني لن أترك نفسي
أتعفن .. سأجد لنفسني ما أفعله، سأعمل على الأرجح بفن يعتمد على
البصر .

نظرت تاي حولها، إلى الستائر المخملية الخضراء المعلقة على
النوافذ الطويلة، وإلى بريق الخشب المذهب للأثاث الأثري .. وأخيراً
إلى البيانو العظيم المصنوع من خشب الورد الموضوع في زاوية بعيدة
من الغرفة خلف ميردت، ووراء الباب:
- هذا هو البيانو الذي كان جايسون لايتون يعزف عليه .
- أعتقد هذا .

- قال لي أبي يوماً إن جايسون كان قادراً على أن يصبح عازف بيانو
محترف لو أراد .
قال ميردت بشيء من السخرية:

- لكنه بدل هذا عاش كالناسك في منزله لأن أخاه سرق منه
امراته .. وبالطبع، كان قادراً على تحمل هذا لأنه باع أسهم العائلة في
صناعة الورق التي بدأت فيها أسرة لايتون في هذه المنطقة منذ قرن
مضى . واستثمر ماله بحكمة في أسهم البترول ليتمكن من التقاعد في

هذا المنزل والعزف على البيانو لنفسه، لكن .. من أنا لأحكم عليه؟ أنا
سائر على خطاه ويوماً ما سأسهر بما اشتهر به .. ذلك العجوز المجنون
الذي يعيش بمفرده في ذلك المنزل قرب بيكرنغ بوينت .
- كفى! توقف عن الأسى على نفسك هكذا . لقد اشتهرت
بمفاظتك في القرية، حين أخبرت أختي كيف تصرفت معي عرفتك
فوراً .

ارتفع حاجباه السوداوان من فوق حافة النظارة:
- حقاً؟ مع ذلك سرت في أرضي .. لماذا؟ لتشدي ذيل الأسد
المجروح؟ لثري ما إذا كان قادراً على التصرف بمفاظة معك مرة
أخرى؟

ردت ببرود: «لم أتوقع رؤيتك .. هذا الحساء لذيق .. من طهاة؟»
- امرأة من القرية اسمها بيلا ماك كاب، تأتي ثلاثة أيام في الأسبوع
لتنظف وتطبخ .. هي وزوجها جوزف عملا عند جايسون كحارس
ومدبرة منزل . عندما وصلت إلى هنا، أتيا وعرضا خدماتهما لي ..
سيكونان هنا في الصباح .. والله أعلم ماذا سيظنان حين يجداك هنا ..
سينتشر الخبر في القرية أن لي فتاة أخرى ..
التقط الصينية وقال:

- أيمكنك الآن تناول قطعة الكايك بالشوكولا، وقليلاً من القهوة؟
- أجل .. أستطيع .. لكن دعني أعدها بنفسني .
- لا .. لن تستطعي إيجاد شيء .
التوى فمه بسخرية وأضاف:

- ستوافقين على أن من الخير لي القيام بشيء، لشخص آخر ..
فهذا سيمعديني عن التحسر على إعاقتي .
ترك الغرفة، ونظرت تاي إلى النار .. سيظنون أن لي فتاة أخرى ..

لم يدعها ما يقوله فهي تعرف كم يحب القرويون إطلاق الشائعات عن الغرباء المقيمين بينهم . . إنما لن يعجبها ما سيظنه الزوجان ماك كاب عندما يجدانها هنا في الصباح .

فتاة جديدة له . . أشير بهذا بشكل غير مباشر إلى المرأة التي أقامت معه قبل الميلاد؟ هذا ممكن .

عاد ميردت إلى الغرفة ووضع صينية القهوة على الطاولة . . هذه المرة كان فيها طبقان، في كل منهما قطعة حلوى بالشوكولا معمرة بالكريما الطازجة . . هذا عدا القهوة وإبريق الحليب الصغير، وقصعة سكر . . التقت ناي شوكة وضعتها في الكايك الاسفنجي الطري . ثم وضعت قطعة صغيرة في فيها فذابت فوراً . سألت :

- هل فكرت يوماً بتعلم طريقة «بريل» للقراءة؟
- لا . . سبق أن قلت لك إنني اعتقدت أنني سأتمكن من الرؤية مجدداً .

ران صمت آخر لم يقطعه سوى طقطقة الحطب في الموقد، وهمس الموسيقى الناعمة من الراديو . . أوحى صوت الموسيقى لها بفكرة أخرى .

- هل تحب الموسيقى؟

- قليلاً .

جاء رده بعدم مبالاة .

سألت : «من أي نوع؟»

- ذوقي غريب قليلاً . . أحب الجاز الحديث وبعض الموسيقى الصاخبة «والهارد روك» وبضع قطع كلاسيكية مفضلة . . وأحب الموسيقى الخاصة بالبيانو . وهذا شريط مسجل لأشهر عازفي البيانو في إسبانيا .

- أجل . . لاحظت هذا . . هل عزفت على آلة يوماً؟

- عزفت على البيانو كحال معظم أقراني من الشباب، يومذاك خلعت أنني عازف «روك أند رول» وأملت أن أسير على خطى «البيتلز» و «رولنغ ستون» .

- آه! كنت تعزف البيانو الكهربائي .

- والبيانو الكلاسيكي أيضاً .

- إذن أنت قادر على قراءة النوتة الموسيقية؟

- لا . . كنت أعزف معتمداً على السمع .

- أيمكنك عزف البيانو الآن؟

- لا أعرف . . ليس لدي بيانو لأجرب . لقد بعث الغيتارين منذ سنوات، كنت بحاجة إلى المال للذهاب إلى الكلية لدراسة فن التصوير السينمائي .

وضع طبقه الفارغ من يده وتحسس كوب القهوة، ثم الحليب والسكر . . وسأل :

- لم هذه الأسئلة؟ ماذا تحاولين؟

تناول الفئجان بيده وعاد ليستند في مقعده إلى الخلف .

- أحاول أن أجد لك ما تقوم به . . ما قد يساعدك على نسيان إعاقتك .

التوى فمه بوحشية :

- هاه! تظنين أنك طيبة نفسية . . حسناً . . أنا لا أريد مساعدتك أو

حتى اهتمامك .

- لكنك لا تستطيع التخلي عن حياة كاملة منتجة لأنك لا تستطيع الرؤية .

- أهذا ظنك بي؟ ابقى قريبة مني وراقبيني!

- أليس هناك أحد ..

صمتت .. وراحت تفكر في أفضل طريقة لصياغة الجملة بدون أن تهينه أو تغضبه، لكنها لم تجد وسيلة غير السؤال المباشر فأردفت بتهور:

- أليس هناك من تتزوجها؟ لم لا تتزوج وتنجب الأولاد فعندئذ ستجد سبباً للحياة؟

نظرت إليها النظارة السوداء وراحت تحدق إليها بصمت .. ثم قال ببطء:

- وهل تتزوجيني؟

بدت الكلمات الرقيقة معلقة في الهواء للحظات طويلة. فتنهارة مرة أخرى .. يبدو أنها علقت في الهالة الكهربائية التي تحيط بها هي وهذا الرجل. لماذا تشعر بأنها تنجذب إليه؟ .. خفق قلبها ووجدت أنها تلهث وشمرت برأسها على وشك الانفجار .. انفجرت شفتاها وكلمات «أجل .. أنزوجك» تتشكل في عقلها .. وكادت تتلفظ بها ولكن حطبة ما قسمتها النار وقعت على أرض الموقد فأرسلت شرراً يرتقالياً .. وتناوب الكلب محتجاً وجلس فجأة فانكسرت الرقية السحرية .. عندئذ التفت أنفاسها وكبحت ما كادت تهم بقوله، وقالت عوضاً عنه بسرعة وبلهجة دفاعية:

- هذا ليس سؤالاً عادلاً!

- ولماذا لا؟

- التفتيتك للتو لذا لا أستطيع الإجابة.

قال ميردت: يا إلهي! لا تفهميني بشكل خاطئ .. لم أكن أطلب يدك .. بل كنت أسألك إن كنت تتزوجيني وأنا رجل نصف أعمى معدوم الأمل بالمستقبل .. أيمنك لأية امرأة عاقلة أن ترتبط بالزواج مع

رجل نصف مقعد؟

- هذا وقف على ما تشعر به المرأة نحوك.

ارتدت في مقعدها ولكنها أحست بشيء من خيبة الأمل لأن سؤاله لم يكن طلباً ليدها. وهذا ما جعلها تستقيم مجدداً وتنهر نفسها. ماذا لهاها؟ لماذا تتصرف هكذا بدون تفعل؟

أضافت: «أترى .. يجب أن أحب الرجل قبل أن أفكر بالزواج منه ويجب أن أكون واثقة من حبه .. وعندئذ، لن يهمني شيء .. لن أعاباً إن كان أعمى أو أصم أو أعرج أو مريضاً مرضاً مزمناً بل سأتزوجه «سرورة».

علق ساخرًا:

- الحب؟ وماذا يعني هذا؟ هل سبق أن وقعت في الحب؟ وهل لعين أحداً الآن؟

- أجل أحببت يوماً .. و .. و .. أنا أحب في الوقت الحاضر.

ارتعشت الكلمات بين شفتيها، فهي فجأة لم تعد واثقة من مشاعرهما نحو برنابي.

- ستتزوجينه إذن؟

فتشت عن طريقة لتجنب الرد .. لكنه أصر:

- حسناً؟ هل ستتزوجين الرجل الذي تحبين؟

همست: «لا».

- ولم لا؟

أدركت أنه يجزها ببراعة لتحدث عن نفسها.

ردت: «إنه شأني وحدي».

- حسناً .. سأحزر .. انطلاقاً مما قلته لتوك عن التأكد من حب الرجل لك قبل أن تتزوجيه، أعتقد أنه لم يكن يبادلك الحب ..

ردت بحدة: «لا أريد التكلم عن هذا».

- لكنك تحبين أن تتزوجي.

- أجل... أحب... إنما ليس من أجل أن يصبح لي زوج... لن

أستطيع الزواج بأحد لمجرد حل مشكلة ما أواجهها.

- إذن، هذا هو الرد على السؤال الذي طرحته علي... لن أستطيع

الزواج بأية امرأة من أجل أن يصبح لي زوجة أو من أجل حل مشكلة آتية هي عدم تمكني من الرؤية، وعدم تمكني من متابعة عملي... من ناحية أخرى لا مشكلة عندي أن يكون لدي امرأة تعيش معي... امرأة تشاركني حياتي... امرأة غير ساذجة... فأنا لا أهتم بالفتيات الساذجات الخجولات اللواتي لا يعرفن شيئاً... أريد امرأة تقابلني في منتصف الطريق، باندفاعها الخاص.

صمت ومال إليها أكثر فأكثر حتى أراح ذراعه على مؤخرة الأريكة فكان أن أصبح بذلك مشرفاً عليها وكأنه نسر ذهبي على وشك الانقضاض على فريسته.

تمتم بصوت أجش: «امرأة مثلك تاي...».

همست بصوت ضعيف: «لا... لا أستطيع... لا أستطيع العيش معك».

- لكنك ترغبين... يمكننا البدء هذه الليلة... الآن... فوراً.

رفع يداً ضخمة ومرر أصابعه برقة على خدها، فبدأ جسمها يخون إرادتها.

تمتمت: «أنت... أنت مجنون. فقدت عقلك... أظن أنني

أستطيع مجاراتك فيما تريد... وأرضى بالعيش معك في هذا المنزل!»
- قد أكون مجنوناً، مجنوناً لأنني أرغب في بعض السلوى

والاكْتفاء... ولكنك هكذا أيضاً تاي... لماذا إذن لا نضم قوانا؟

- لكنك تمنيت لو لم آت إلى هنا... قلت إنك لا ترهب بي هنا.

ضحك فخفق قلبها:

- أعرف أنني قلت هذا... كنت غاضباً من القدر لأنه أرسل امرأة

ملكك إلى حياتي في هذه اللحظات بالذات... فمئذ وجدتك في الخارج

لعت الثلج هذا المساء، وأنا أحاول حمايتك مني... لكنني لم أعد

لأدراك على هذا... أريدك تاي.

صاحت بوجهه: «لا!»

انزلت من بين يديه ونزلت عن الأريكة إلى الأرض ثم راحت تدب

على أطرافها الأربعة وتزحف مبتعدة حتى استطاعت الوقوف... ثم

ركضت وهي تعرج حتى وصلت الباب... ولكنها لم تكن واثقة إلى أبين

سدهب أو لماذا هي ذاهبة، بل كانت تطيع غريزة بدائية تدفعها لحماية

للسها...

خرجت إلى الردهة وهي تعرج ثم راحت تستند إلى الجدار... كان

لها ينفق بشدة في صدرها وكانت أذناها مشغولتين بالتقاط وقع

القدام.

سمعت في صمت الغرفة المظلمة صوت رقع الثلج المتساقطة على

البالدة ثم رأت في الضوء الخافت انعكاس الأثاث على السجادة...

لهجة أقل الباب فانقطع عنها النور وأصبحت في ظلمة دامية.

- هذا ذكاء منك تاي!

في صوته سخرية جعلتها تلتصق بالجدار لأنها لم تلاحظ أنه دخل

إلى الغرفة قبل أن يقفل الباب...

أضاف: إنه ذكاء منك لأنك أتيت إلى هذه الغرفة لأنني كنت أنوي

أن أحملك إليها هذه الليلة.

أدركت أنه على مقربة شديدة منها . ولكنها لم تستطع معرفة مكان وقوفه فقالت وهي تحاول أن يبدو صوتها هادئاً :
- مبردت . أرجوك لا تفعل ما قد تندم عليه فيما بعد .

لم يرد . سمعته يذنو منها وكم ندمت لأنها تكلمت فقد كشفت بذلك موقعها له . وقبل ذلك لم يكن يعرف أين هي . عضت شفتيها السفلى بقوة ثم التصقت بالحدار بعيداً عن الباب ، كاتمة أنفاسها . ثم بعدما تأكدت من ابتعادها عنه ، اندفعت إلى الأمام وراحت تسرع بمقدار ما تسمح لها به ركبها المصابة آملّة أن تستدير من خلفه وتجذ الباب مجدداً لتفتحه وتهرب إلى الردهة مجدداً .

كانت في طريقها إلى الباب عندما امتدت ذراعها الطويلة لثلث حول خصرها تشدها إليه . ظلت للحظات مشلولة ومقطوعة الأنفاس ثم وجدت يده الأخرى وجهها وأمسك ذقنها ليجبرها على النظر إليه . كانت ذراعها حول خصرها كرباط من حديد تسحقها عليه . لم يكن هناك مجال لتجنب تهجمه عليها .

بقيت تاي للحظات عاجزة في ذلك العناق الشديد . ثم شعرت أن شيئاً ما يومض في عقلها . ولم يعد بحاجة لأن يشدها إليه . لأنها كانت تضغط نفسها بكل إرادتها عليه .

دفعها بعيداً عنه ، وقال بلهجة ملؤها التأنيب :

- الآن قول لي إنك لا تريدني . . قول لي إنك ترفضني . . ولو فعلت لكنت كاذبة . . أما زلت راغبة في إيقافي عند حدي ؟

همست : ليس في الظلام . . آه ليس في الظلام . . أريد رؤية عينيك . . رؤية لونهما . أنا لا أعرف لون عينيك . . أرجوك مبردت ، أضئ النور .

عرفت أنها فاجأته بطلبها ، لأن يديه استرختا عن خصرها وضحك

ليلاً .

- فليكن . . سأضيء النور لتستطيعي رؤية عيني إذا كان ذلك يساعدك .

تركها وهذا ما كانت تأمله وما إن ابتعد عنها حتى نحت جانباً ومدت يديها إلى خلفها وهي تتراجع إلى الجدار حتى لامست الخشب . لم أخيراً مدت يدها فوجدت مقبض الباب وما إن أضاء مبردت النور في الغرفة حتى فتحت الباب وأسمرت تعرج إلى الردهة .

لا جدوى من الخروج من الباب الأمامي في مثل هذه العاصفة الثلجية الربيعية . إلى اليسار ، رأت درجاً أنيقاً يقضي إلى الطابق العلوي وما إن سمعت مبردت يردد باسمها ووقع أقدامه تتعالى حتى أخذت تعرج متألّمة وارتمت الدرج .

- تاي . . أين أنت ؟ أين ذهبت بحق الله ؟

نظرت إليه من فوق كتفها فإذا هو واقف في الردهة ورأسه مائل إلى جانب واحد يصغي لصوت تحركها ، فتوقفت عن الصعود ، وكتمت أنفاسها . . كان قلبها يخفق بقوة حتى ظنت أنه يسمعه .

ولكنه دنا من غرفة الجلوس . . فأطلقت أنفاسها الحبيسة وتابعت الزحف على الدرجات تاركة الظلمة المخملية تبتلعها .

لم تنقدم أكثر لأنها خشيت أن تصطدم بشيء . . ثم أرادت أن ترى الردهة في الأسفل كي تعرف ماذا سيفعل مبردت . استندت إلى الدرابزين وراحت تلتقط أنفاسها وتصفي إلى خفقات قلبها فشعرت للمرة الأولى بشيء من المرح في الموقف . إنها أشبه بلعبة كانت تلعبها في صغرها . عمادها أن تغمض فيها عينا طفل ثم عليه أن يحاول إيجاد أكبر عدد من الأولاد وهم يرقصون ويغنون من حوله .

استرعى انتباهها صوت من الأسفل وخرج كملت من غرفة

الجلوس يلحقه مبردت. توقف الكلب في أسفل الدرج. ثم نظر إلى فوق ونبح بصوت منخفض. . قال له مبردت شيئاً. فبدأ الكلب يصعد السلم. مد مبردت يده حتى وجد الدرايزين، وبدأ يصعد الدرج متعقباً الكلب.

شهقت ناي: «آه. . لا!»

هربت إلى الظلام الدامس معتمدة على حاسة اللمس وكانت تأمل أن تجد باباً يقودها إلى غرفة لتستطيع الاختباء فيها. . صدعت أصابعها إطاراً خشبياً. . وفي الوقت ذاته سمعت صوتاً آخر على الدرج. . وكان أحدهم تعثر ووقع عن الدرج!

شهقت مجدداً: «آه. . لا».

أدركت أن مبردت أخطأ في صعوده على الدرج ووقع، فهرعت حيث رأته كملت يقفز فوق الدرجات، وهناك في الأسفل كان مبردت ممدداً على الأرض بلا حراك.

شهقت مجدداً: «آه! لا».

نزلت الدرج ركضاً ناسية ألم ركبتيها ولكن الكلب الجاثي قرب سيده نبح عليها مرة أخرى، وتجاهلت التحذير، مذعورة لأن ما بدا لها موقفاً مرحاً قد يتقلب إلى كارثة. . رمت بنفسها على ركبتيها إلى جانبه، ثن بعودة بسبب اصطدام ركبتيها اليمنى بالأرض.

صاحت يائسة: «آه! ماذا حدث؟ ماذا حدث؟»

أرادت أن تلمسه، لكنها كانت خائفة.

هل مات؟ كيف لها أن تعرف؟ آه! يا لعجزها في أمور كهذه! إنها لا تعرف شيئاً عن أبسط مبادئ الإسعاف الأولي. . مالت فوقه، تفتش في وجهه. . فإذا النظارة السوداء ما تزال مكانها. . ستخلعها عنه لترى إن كانت عيناه مغمضتين أم مفتوحتين.

كانت يداها نهماان بنزع النظارة عندما تحرك بسرعة، وارتفعت ذراعه لتلتف حول كتفيها وتشدها فوقه. وهمس في أذنها:

- قبضت عليك!

لم تحاول الخلاص لأنها شعرت براحة غريبة. . أدارت رأسها لتعبر عن هذه الراحة بمعانقته.

تأوه بصوت عميق فأسرعت بتباعد عنه ولكنها لم تستطع لأنه ظل يمسك بها.

لمست خده بأصابع لطيفة:

- مبردت. . ما الأمر. . هل أصبت بسوء؟

لوى رأسه من جانب إلى آخر:

- آه! رأسي. . لقد ارتطم بالأرض.

- ولماذا وقعت؟ ماذا حدث؟

حاولت مجدداً الابتعاد عنه ولكنه ظل يمسك بها بقوة.

قال: «لقد تعثرت. . أحد أسباب وجود غرفة نومي في الأسفل،

هو عدم اضطراري إلى صعود الدرج. . فأنا أجد صعوبة في تحديد ارتفاع الدرجات».

- إذن لماذا صدعت؟

ارتفعت يده إلى مؤخرة رأسها، وتخللت أصابعه شعرها ليحبر وجهها على الاقتراب منه. في هذه اللحظة اشتعلت مشاعر ما في كيائها واندفعت الحزارة في جسمها، ولكنها قاومت هذه المشاعر.

- لا، أرجوك. . دعني.

- حسناً ناي. . سيكون لك ما تريدين، لن أملك رغماً عنك. .

توقف هنيهة ثم أردف: استخدمني غرفة نومي أما أنا فستأدبر أمري.

وقف ثم راح يتمتم :

- ليتني أقتل نفسي .

شعرت بالرعب عندما سمعت كلماته فوقفت هي أيضاً ومدت يديها إلى ذراعيه وهزته مؤنية :

- ميردت .. لا تنقل هذا .. ليس الأمر مضحكاً ..

- لم أكن أحاول أن أكون مضحكاً .. كنت أفكر في الخيارات منذ أخبرني بالحقيقة عن نظري .. وكان قتل النفس أحد الخيارات .

ارتفعت يدها إلى عنقه والثقت ذراعاها حوله :

- آه ! لا ، لا ، يجب ألا تنهي حياتك فلن أستطيع تحمل هذا ..

نهرها بشدة : ابتعدي عني فأنا لا أريد شفقتك أبداً .

وخرج أما هي فراحت تحدق إليه وهو يتوارى بين جنبات هذه الظلمة المحدقة بهما .

أحست بالدوار يلفها وبتعب شديد فنهضت وتوجهت إلى غرفته والألم يعتصر قلبها .

٤ - العودة إلى عرين الأسد

تراقص شعاع من ضوء الشمس عبر نافذة الغرفة الشرقية التي حولها ميردت لا يتبون إلى غرفة نوم له على جفني تاي المغمضين ..

فاستيقظت للحظة .. فكرت في إغماضهما مرة أخرى والعودة إلى النوم الذي كانت تتمتع به .. على أي حال لا ضرورة للنهوض هذا اليوم ..

للا ضيوف في الفندق ، ولن تضطر إلى مساعدة كيتان في تحضير الطعام .. إذن لماذا لا تعود إلى النوم ؟

أغمضت عينيها ومددت ساقها .. فلذعها شيء ما في ركبتهما اليمنى وكأنه دبوس مغروس فيها .

هبت من منامها وجلست بسرعة .. فتذكرت ما حدث معها ليلة أمس وقت العاصفة وتذكرت ميردت . نهضت عن السرير وهي تفكر

ليه : ابن ميردت .. ترى أين أمضى ليلته ؟ تذكرت كيف تبعها من مكان لأخر قبل أن يسقط عن الدرج .. فابتسمت لنفسها .

سمعت نباح الكلب في مكان ما في مؤخرة المنزل ، فأرهقت السمع .. أتسمع حقاً أصوات أشخاص ؟ أهى آتية من الداخل أم من الخارج ؟

تذكرت فجأة أن ميردت قال لها إن الزوجين ماك كاب آتيان في الصباح .. ولا شك أنهما وصلا . يا إلهي قد يدخل أحدهما في أية لحظة ليرى ميردت ولكنه سيفاجأ برؤيتها هي وعندئذ سيسيتان الظن

ويطلقان الشائعات وهذا آخر ما تريده.

أسرعت ترتب ثيابها ولكنها ألقت نظرة على ركبتيها اليمنى فإذا هي أسوأ حالاً من البارحة.

هبت على قدم واحدة ثم أدارت المقبض بهدوء، وفتحته وتسلسلت إلى الردهة. ووقت للحظات تصغي، وسمعت صوت امرأة تتكلم في غرفة ما في مؤخرة المنزل.

تحركت بأسرع قدر ممكن ودخلت إلى غرفة الجلوس، وهناك بدا البيانو لامعاً أما النار في الموقدة فانطفأت وعمّ الرماد المكان. فوق الرف الرخامي أعلنت الساعة السابعة. وعلى أحد جانبي المدفأة، وعلى الأريكة التي كانت جالسة عليها ليلة أمس رأت ميردت ممدداً وظهره إليها. يغط في نوم عميق. ونساءلت هل نوقظه أم لا.

تحرك ميردت. فهمست: «ميردت...»

نعم.

مديرة المنزل هنا. أرجوك استيقظ بسرعة واذهب إلى غرفتك. جلس مستوياً وهو يتمتم لاعتناً. رمى عنه الغطاء وأخذ الكنزة عن ذراع الأريكة وارتداها ثم أمسك حذاءه ودنا من الباب ليتسلل إلى غرفته.

كانت تاي على وشك شد مدامها العالي الساقين حين سمعت وقع خطى من الردهة، ثم اقترب الصوت من غرفة الجلوس ودخلت امرأة قصيرة ممثلة الجسم ترتدي سروالاً بنياً وكنزة مخططة شعرها رمادي، ووجهها مستدير وممتلئ عافية. عندما رأت تاي، اتسعت عيناها اللوزيتان من فرط الدهشة وأوقعت مكنسة السجادة الكهربائية.

يا إلهي! من أنت؟ وماذا تفعلين هنا؟

أقفلت تاي سحاب مدامها العالي الساقين، ووقفت مبتسمة.

أها تعرف كيف ستندبر هذا الموقف.

قالت: «أنت بدون ريب بيلا ماك كاب، أخبرني ميردت أنك سالتين في الصباح لتنظفي المنزل. أنا تاي داتسام. أختي تملك فندق أورلبروت. علقت في العاصفة حين كنت أتمشى ليلة أمس ووقعت فلابت ركبتي. ولهذا سمح لي ميردت بالبقاء ليلة أمس. لم نستطع إخبار أحد أنني هنا لأن الخط الهاتفي كان مقطوعاً. وأنا مسرورة جداً لأنك جئت. كيف حال الطرق؟»

سأقت عينا بيلا الصفراوين بريية وتفرست في تاي:

«تبدو سيئة. أذيت ركبتيك هاه؟ كيف؟»

«تأذت عندما وقعت، وتورمت، ولم أعد أستطيع السير جيداً. هل تعتقدين أن زوجك قادر على إيصالي بالسيارة إلى الفندق الآن؟ أريد العودة. فشقيقتي تكاد تجن بلا ريب من القلق!»

«لا أدري إن كان قادراً الآن فهو في المطبخ يطعم الكلب.»

التفتت إلى صينية القهوة وإلى الطعام الموضوع على الطاولة الصغيرة.

التقطت تاي قبعتها:

«شكراً لك. على فكرة. حساء السمك كان لذيذاً وكذلك

الكابك بالشوكولا.

وبدأت تقفز على قدم واحدة نحو الباب. ولكنها سمعت بيلا لمنم شيئاً عن النساء الفاسدات اللاتي يعضين الليل مع رجال غرباء. أسرعت تاي نحو المطبخ بحثاً عن جوزف ماك كاب على أمل أن يكون ووداً.

إنه رجل طويل نحيل يرتدي سروالاً من الجينز السميك وقميصاً من الصوف. وجهه مستطيل وذقنه مدبب ولكنه لم يظهر دهشته عندما

رأها . . أصغى لشرحها وهو يراقبها بعينين زرقاوين بارقتين .

قال ساخراً :

- حان الوقت ليجد ميردت امرأة أخرى ، فمن غير المفيد لرجل مثله أن يعيش بدون امرأة . هل أنت واثقة أنك تريد العودة إلى الفندق ؟
- كل الثقة . . يجب أن تعرف أختي أنني ما زلت على قيد الحياة .
كما علي أن أذهب إلى المستشفى لمعاينة ركبتي . . لقد أذيبتها فعلاً .
وسأكون مسرورة إن أقلتيني .

- هل قلت لميردت إنك ذاهبة ؟

- لا . . إنه نائم . . ولكنه يعرف أنني أريد الذهاب ، لقد اقترح علي أن أطلب منك إيصالي .
نظر إليها مفكراً :

- من غير الصواب أن تغادري قبل أن يستيقظ . سأذهب لأخبره .

خطا خطوة إلى الباب وقال :

- لا أريد أن أسبب لنفسك مشكلة لأنني أقلبتك إلى نورثبور
بدون معرفته .

- لكن سيكون كل شيء على ما يرام . . حقاً ، أرجوك سيد مالك
كاب . . فللذهب الآن . . أريد العودة قبل أن تبلغ أختي الشرطة أنني
مفقودة . . ولن يسبب لك هذا أية مشكلة لأنه لا يريد مني أن أبقى بل
سيكون مسروراً عندما يجدني راحلة .

- هل تعرفينه منذ زمن طويل ؟

- لا . . منذ الأمس فقط . . طلبت منه بالأمس استخدام هاتفه ،
ولكنه لم يرغب في مساعدتي ولم يرغب في البقاء هنا ، لذا لن يقض
إذا رحلت .

تنهد جوزف : « حسناً إذن . . أعتقد أن لا شأن لي بهذا » .

ارتد على عقبه ، ومد يده إلى ما وراء الباب ليتناول سترته التي
لدهاها وغطى رأسه ، وفتح الباب الخلفي :

الشاحنة في الخارج ، سيدتي . . راقبي خطواتك لأن الدرج
الذي .

وجدت ناي صعوبة في ركوب الشاحنة الزرقاء اللون بسبب
ألمها ، ولكنها استطاعت ذلك بمساعدة جوزف وما هي إلا دقيقة حتى
انطلق .

خرجت الشاحنة من البوابة ثم انعطفت يمينا معتمدة انحناء شارع
الترلع . وما إن غيّر وجهته إلى « ماين سترت » حتى ظهرت البيوت على
الجانب الآخر من الشارع . . كانت ألواحها الخشبية البيضاء تلمع إزاء
الثلج الأبيض .

قال جوزف : « أعتقد أن الثلج سيزول بسرعة إن بقيت الشمس
تشرق هكذا . . الحرارة مرتفعة . . هل ستقيمين طويلاً في الفندق ؟ »
« لا أدري .

« أنا وميردت أبناء عمه .

« حقاً ؟ كيف هذا ؟

« كانت أُمي خادمة في المنزل في عهد جوزف لايتون ، والد والد
ميردت وقد أنجبت ابنة هي ابنة جوزف فسمتها أمها جوزفين . . كانت
أُمي أمّت جايسون وميردت لايتون من جهة الأب وهذا ما يجعلني ابن
عم والد ميردت هذا . آمنت لوقت أنني سأرث الأملاك لأنني الشخص
الوحيد المتحدر من نسل جوزف لايتون . . أو هكذا بدا لي .

« لا بد أن أملك خاب حين وجدت أن جايسون أورث كل شيء
الوحيد أخيه .

« هذا ما أعتقدته حتى قابلت ميردت . قصدت المستشفى عندما

كان فيها لتأكد إن كان فعلاً من عائلة لايتبون. . . وما إن رأيته حين
عرفت أننا من نسل واحد. فرغم عماء ورغم التشوه الذي أصاب وجهه
كان صورة طبق الأصل من جدي أنا ومن جده الأكبر جوزف لايتبون
وهو يشبهه في أشياء أخرى. . . يحب النساء ويجذبهن كما يجذب
العسل النحل. . . تعرفين ما أعني؟
تمتمت ناي: «أجل. . . أعتقد أنني أعرف».

أضاف جوزف: «حين رأيت صعوبة حالته لم أعد أشعر بخيبة
الآمل لأنني لن أرث الأملاك. أعتقد أنني فهمت أنه بحاجة إلى المكار
أكثر مني. . . كان بحاجة إلى مكان يذهب إليه. . . بيت يختبئ فيه حين
يستره عافيته. . . فكان أن ربت أمر مجيئه إلى هنا، ثم رحت أعنتي به أنا
وبيللا كما كنا نعتني بجايسون لايتبون».

إنه لطف منكما.
هذا أقل ما أقدمه لشخص من لحمي ودمي. . . أنا لا أحب من لا
يساعد أفراد عائلته.
لكنني أعتقد أن هناك شخصاً ما عاش معه حين جاء، أخبرني
أختي أن امرأة أقامت معه فترة.
رد بصوت ملؤه الاحترار:

تلك الساقطة! لقد ظهرت بعد انتقاله إلى هنا. يبدو أنها كانت
صديقته مرة. على أي حال، أقامت معه فترة. . . لا أعرف ماذا حدث
ولكنهما تشاجرا يوماً ورحلت. أظن أن ميردت لم يرغب أن تعيش
معه.

لا يبدو سعيداً جداً بما أخبره به الجراح عن نظره.
وهل أخبرك عن هذا؟ يبدو أنه مال إليك إذن لأنه لا يتحدث عن
مشاكله مع أحد.

سمعت صوت المكايح وتوقفت السيارة أمام مفترق الطريق. . .
انطلق جوزف بالسيارة إلى شارع تحف به الأشجار وما هي إلا
لحظات قليلة حتى أوقف الشاحنة أمام أكوام الثلج على مدخل الفندق.
قالت: «أشكرك لأنك أقليتني».

«أهلاً بك. . . اعتني بنفسك».

ترجلت من الشاحنة ولوحت له مودعة، ثم أخذت تعرج في الطريق
الداخلية الضيقة التي نظفها أحدهم من الثلج حتى باب الفندق. ودخلت
إلى الرومة المكسوة الجدران بالخشب، وأطبق عليها دفة المكان
وجعلها تحس بالترحاب.

نادت: «كينان. . . كينان. . . لقد عدت».

خرجت كينان بسرعة من المطبخ:

«شكراً لله! شكراً لله لأنك حية! أين كنت؟ ماذا حدث؟ مرضت من
هذا قلقي عليك. . . ولم أنم لحظة! خرجنا أنا وشاركي لنبحث عنك.
ولكن العاصفة كانت سيئة فعلقت سيارته بنا ونحن في الطريق إلى
الطائرة فاضطررنا للعودة سيراً. أه! لا أعرف ما كنت سأفعل لولا بقاءه
معي».

«أنا آسفة. . . عرفت أنك ستقلقين، لكنني لم أستطع فعل شيء».

أرهبن؟ لقد آذيت ركبتي ولم أستطع السير، وكان هاتف ميردت لايتبون
مغطلاً. . . لذا لم أستطع الاتصال بك.

«ميردت لايتبون؟ كنت في منزل لايتبون؟
«أجل، كنت قريبة من منزله عندما وقعت وآذيت ركبتي. . . وكان
المكان الوحيد الذي أستطيع اللجوء إليه. لو كان لديه سيارة لمحاولت
الرجوع، لكنه لا يملك سيارة لأنه لا يرى.
«إذن كيف جئت إلى هنا الآن؟

- أفلني جوزف ماك كاب الذي يعمل وزوجته عند ميردت .

تاوحت كينان :

- أوه . يا إلهي ! سيئشر الخبر في كل القرية بأنك أمضيت الليل مع ميردت لايتبون . . وسيظن الناس بك أسوأ الظنون .

- حسناً . . لم أستطع تجنب هذا ولم أسع إلى أن أعلق في منزله بسبب العاصفة .

- أعرف هذا . . تعالي إلى المطبخ لتناول الفطور وأخبريني ما خطب ركبتيك .

ضمتها بحنان وتابعت :

- أوه . . ليس لديك فكرة عن مدى شعوري بالراحة لرؤيتك ! كانت محنة لك بلا ريب كما كانت لي ، وأرجو أن يكون ميردت لايتبون أحسن أدبه معك وعاملك معاملة لائقة .

- عاملني بفضافة في البداية ، ولم يسمح لي بدخول منزله لاستخدام هاتفه . . ولكن عندما أدرك أنني فعلاً مصابة أصبح أكثر من مهذب .

عرجت تاي ولحقت بكينان إلى المطبخ ، وهناك في المطبخ والرجل الرمادي الشعر وصاحب الوجه النحيل .

وقالت كينان بشيء من الخجل :

- تاي . . أريد منك أن تتعرفني إلى شاركي سوير .

قال شاركي وهو يصافح تاي :

- تسرني سلامتك . . كنا نفكر في إخطار الشرطة بأنك مفقودة أعقد أنني قادر الآن على الذهاب إلى فناء المراكب . . فقد آن لي أبدأ بالعمل .

تورد وجه كينان :

- أجل . . أجل . . بكل تأكيد .

مدت تاي ساقها اليمنى أمامها . . وأضاف شاركي :

- سأعود مساء . . لتتكلم عن هذه الخرائط .

- شكراً شاركي . . وشكراً لك لأنك بقيت معي .

نظر إلى كينان نظرة لم تستطع تاي تجاهلها لأنها نظرة ذات مغزى .

- في أي وقت . . أراك فيما بعد .

أفلت كينان الباب وراءه بهدوء . ثم ابتسمت لنفسها واتجهت إلى الطبخ لتشعل أحد رؤوسه وباشرت بوضع الزبدة في مقلاة ، ثم سألت :

- أناكلين البيض ؟

- قد أكل منزلاً ، هل من قهوة ؟

- بالتأكيد .

تقدمت كينان لتصب القهوة في الكوب لأختها ، ثم عادت إلى الطبخ .

قالت تاي : « إنه لطيف . . » .

ردت كينان وهي تصب البيض المخفوق في المقلاة :

- من ؟ ميردت لايتبون ؟

- لا أيتها الحمقاء . . بل شاركي سوير . . هل تحبينه ؟

ردت كينان ببطء :

- لا أعرف . . قد أحبه ، ولكننا الآن مجرد صديقين .

- هكذا يجب أن تبدأ كل العلاقات الرومانسية . . بالصدقة .

سخرت كينان منها :

- أوه . . اسمعوا من يتكلم ! هل تتكلمين عن تجربة ؟ أم من خلال ما قرأت من قصص غرامية مؤخراً ؟ أخبريني عن ركبتيك .

فهمت تاي أن كينان لا تريد مناقشة أمر صداقتها بشاركي سوير

فأغرقت بالحديث عما أصاب ركبته، ثم قررنا الذهاب إلى القسم الخارجي في المستشفى ما إن تنهي طعامها وتغير ملابسها.

أخذتها كينان بسيارتها إلى المستشفى، حيث فحصها الطبيب المناوب وطلب صورة أشعة لركبتها. وأظهرت الأشعة شقاً برفق الشعرة قال الطبيب إنه سيشفى بسرعة طالما لا تسير على قدمها اليمنى كثيراً.

قال: «سأضع لك جبساً لئلا تحركها. لكن إن كنت مستعدة لإطاعة تعليماتي فلا ضرورة إلى هذا. أريحها قدر المستطاع، وإذا اضطرت إلى السير استخدم عكازاً. عودي بعد أسبوع لألقي نظرة عليها».

سرت لأن إصابتها غير خطيرة. بعد ذلك ذهبت مع أختها إلى الصيدلية المحلية فاستأجرت عكازين طبيين، ثم عادت إلى الفندق.

مرت الأيام التالية ببطء وبدون أحداث تذكر. في البداية سرت تاي بالاستلقاء في الصالون وساقها مرفوعة ولتسلي نفسها راحت تقرأ أو تعزف على الكلارنيت. وكانت أختها تجالسها حين تكون غير مشغولة بالطبخ للزائرين المحليين الذين يأتون خلال الأسبوع للغداء أو العشاء في مطعم الفندق.

لكن مع مرور الوقت أصبحت أقل اهتماماً بالقراءة، ووجدت نفسها غارقة بالتفكير في ميردت لايتون الذي بدأ يغزو عقلها وكيانها كله.

كيف هو؟ ماذا يفعل؟ هل سترأه مجدداً؟ هل يفكر فيها ويتساءل عما إذا كان سيرأها مجدداً؟

لا شك أنه نسي كل شيء عن تلك الغريبة التي أوت في منزله ليلة.. بل لربما نسي أنها باتت في منزله. ويجب أن تتعلم هي كذلك

أن تنسى.

ولكن هل هي قادرة على نسيانه؟ أو نسيان ذلك التجاذب الذي شذها إليه بشكل غريب؟

آه يجب أن تنسى.. يجب.. أم لعلها ستعود إليه راضية ما إن تلفى ركبته؟..

نادتها كينان من المطبخ: «تاي..؟ اتصال هاتفي لك. استخدمني الجهاز الآخر عندك».

- لي أنا؟

فجأة عرقت يداها وارتجفتا واحترقت وجنتاه.. أياكون ميردت هو المتصل أخيراً؟ أتراه يريد أن يسألها عن سبب رحيلها قبل أن يراها؟

- من المتصل؟

- دون بورتلاند.

كانت خيبة الأمل موجة باردة طافت فوقها. مدت يدها إلى الهاتف والنقطة السماعة لتتكلم.

قال دون إنه يتصل بها ليذكرها أن المجموعة الموسيقية ستلتقي في منزله ذلك المساء وإنه سيكون مسروراً بحضورها ووعدته تاي بهذا.

لشكرها وأنهى المكالمة.

أقلتها كينان إلى منزل بورتلاند وهو منزل على شكل كوخ في شارع باي الشرقي يطل على مصب النهر وعلى التلال الخضراء القريبة من الشاطئ.. في غرفة الجلوس شاركت تاي مقعداً مزدوجاً مغطى

بالمخمل مع شاب اسمه كرايغ روغان يعزف «الشيلو».

قال دون:

- الليلة أحب أن نناقش مستقبلنا.. أمل أن تتمكن العضوة الجديدة من تقديم بعض الأفكار والبدائل، وأنا مسرور بأن أخبركم أننا وجدنا

عازف شيلو أخيراً، وبه يكتمل القسم الوتري من الفرقة . وبهذا تكون على استعداد لتقيم حفلة موسيقية في الشهر القادم، أي في أول حزيران . وهذا يعني أن أماننا شهراً فقط للتمرين وعلينا في هذا الوقت إيجاد مكان مناسب للحفلة . لقد تفقدت الكنائس الثلاثة في القرية ولكنني لم أجد أيًا منها .

تبع هذا نقاش طويل وسأل أعضاء الفرقة دون أي نوع من الأماكن براه موقعاً ممتازاً للحفلة . عندما كانت تصغي وجدت تاي أنها تذكر الغرفة الطويلة الواسعة في منزل ميردت لايتبون، والبيانو والستائر المخملية والنوافذ الطويلة التي تفتح على الشرفة المطلة على الخليج والتلال الكندية . ما إن توقف النقاش قليلاً حتى مالت إلى الأمام تقول :

- في منزل لايتبون بيانو «شينواي» كبير وجميل . وفيه أيضاً غرفة طويلة مصممة بلا ريب لتقديم الموسيقى . كل ما عليكم الحصول عليه هو الكراسي للمستمعين .

نظر دون إليها بحدة من عينيّين بيتين صغيرتين :

- وهل رأيتهما؟ هل كنت في ذلك المنزل؟

- أجل . . . كنت هناك . . . أظنه مكاناً رائعاً لإقامة حفلة موسيقية .

في الواقع بسبب كل تلك الغرف وبسبب الأرض المحيطة، يمكن تطوير المكان وجعله مركزاً ثقافياً صيفياً .

- تقصدين شيء مثل مركز «وولف تراب»؟

مال جاد باشيمو إليها وعيناه تبرقان بحماس :

- هذا ما كنت أحلم به لمثل هذه المنطقة، ولهذا بدأت بتجميع

المجموعة الموسيقية .

هزت تاي رأسها : «أجل . شيء مثل «وولف تراب» .

تعرف جيداً المركز الذي يقدم الفنون التي يعود ريعها للوطن، والواقع أنها عملت هناك مع برنابي في أحد مواسم الصيف في أوركسترا الآلات النفخية .

قال فايكلاند :

- ولكن الأملاك في بيكرنغ بوينت هي سكن خاص . أما الرجل الذي يملكها فشخص لا يمكن الاقتراب منه في الوقت الحاضر . لا أنصور ميردت لايتبون يسمح لأي منا بدخول المكان . إنه منعزل كلياً من العالم .

نظر إلى تاي باستغراب : «كيف تعرفين شكل المكان في الداخل؟»

ردت ببرود :

- كنت هناك يوم الاثنين الماضي .

سألت كوليت ليستر وهي عضو جديد في المجموعة :

- ميردت لايتبون؟ هل هو الرجل عينه الذي صور الفيلم الوثائقي عن القتال في الشرق الأوسط؟ ذلك الذي فاز بجائزة أفضل فيلم وثائقي إخباري منذ بضع سنوات؟

قال تود : «هو نفسه» .

صاحت كوليت بانفعال :

- لم أعرف أنه يعيش في نورثبورت . . .

ارتدت نحو تاي :

- هل تعرفينه جيداً؟

- لا . . . لا أعرفه جيداً .

قالت شيلو فايكلاند :

- أوه . . . عنت لي فكرة عظيمة . . . إن استطعنا إقناع ميردت لايتبون

بالتقديم المكان لنا فقد يستطيع أن يصور الحفلة لتبث عبر شاشة

قال زوجها: إنه أعمى.. وقد ولت أيامه.. من الأفضل أن ننسى الفكرة.. فكما قلت إنه رجل متعزل كثيراً.

نظر جاد إلى تاي:

- لا ضرر من سؤاله.. أنت تعرفينه. فهل أنت على استعداد لتسأله؟

نظر دون إليها أيضاً بلهفة وأمل:

- هل تكلمينه؟ فمن خلال ما قلته لنا يبدو لي المكان مثالياً.

- أعتقد أنني أستطيع الذهاب لرؤيته.

قال جاد بحماس: «عظيم».

سألت: «لكن.. متى تريدون معرفة الجواب؟»

- قبل نهاية الشهر طبعاً.. ولكننا في هذه الأثناء سنتابع التفتيش عن مكان مناسب آخر.. والآن قبل بدء التمرين.. أرغب في مناقشة أمر إضافة القطع الجديدة التي تشملك تاي وتشمل كولييت.. لديكما بكل تأكيد قطعاً موسيقية مفضلة مكتوبة للألات النفخية تحيان عزفها بمصاحبة بيانو أو آلة وترية.

مضت الأمسية في الحديث والعزف. خلالها قدمت زوجة دون القهوة والكايك وقبل منتصف الليل غادر الجميع وكان أن أقل جاد باشيمو تاي بسيارته.

ما إن دخلت إلى الفراش، حتى استلقت مستيقظة تتساءل عما رجّت به نفسها عندما عرضت أن تسأل ميردت ما إذا كان راغباً في تقديم غرفة الجلوس في منزله للفرقة الموسيقية.. من أين أتت الفكرة؟ هل أوحى لها بهذه الفكرة عقلها الباطني لتتخذ من الأمر حجة حتى تراه مجدداً؟

لكنها لن تستطيع هذا.. لن تستطيع الذهاب إليه وطرح السؤال عليه وجهاً لوجه لذا ستصل به أولاً..

في الأيام التالية ظلت مترددة وكانت تحفظ عن ظهر قلب ما ستفعله ولكنها كلما التقطت السماعه خانتها شجاعتها فتعدل عن الأمر.

زارت المستشفى لتعاین ركبته مجدداً وبعد صورة أشعة أخرى تبين لها أنها تتحسن بشكل جيد. ونصحها الطبيب بالسير عليها على ألا تهرلها بالسير كثيراً.

مرت أيام أخرى وحلت نهاية أسبوع، ومعها جاء الزائرون إلى الفندق.. وفي هذا اليوم جاء دون وجاد فسألاها ما إذا اتصلت بميردت لايتون. ترددت في الإجابة ثم وعدتهما بالاتصال به غداً.

وجاء الغد وظلت مترددة.. عندئذ أسرّت لكيان بمسألة الذهاب لسؤال ميردت عما إذا كان يرغب في تقديم غرفة الجلوس في منزله للفرقة.

قالت كيان ساخرة:

- أنت مترددة لأنك خائفة من الذهاب إلى الأسد في عرينه.. لماذا أتت خائفة منه؟

- أنا لست خائفة منه.. لكنني لا أريد أن يعتقد أنني أحاول الاستفادة من تعارفنا القصير.. أه! ليتني لم أقترح هذا.. لماذا أقحمت نفسي بهذا كيان؟ لماذا أزعج نفسي دوماً في مواقف مربكة؟ لماذا لا أعلم إطباق فمي؟

- لأنك متهوره وكريمة ولأنك تظنين دائماً أن بإمكانك المساعدة.

نظرت كيان إلى أختها باستغراب:

- ربما تريدني في عقلك الباطني مساعدة ميردت لايتون وإخراجها من عزلته بجعله يهتم بالمجتمع الذي جاء ليعيش فيه. فطالما ساعدت

- أجل .. هذا صحيح .. وسيكون هذا جيداً له لأنه سيمنحه ما يفكر فيه بدل التحسر على إعاقته .. سأتصل به الآن.

سخرت كينان: هذه أختي التي أعرفها! إنها لا تخاف رجلاً ولا وحشاً .. تذكرني .. لن يستطيع أن يعضك عبر الهاتف .. يمكنه فقط أن يزأر .. وإن فعل، يمكنك إقفال الخط والمحاولة مرة أخرى حين يكون أكثر رقة، وفي مزاج غير متعزل كثيراً.

لم تستطع ناي الوصول إلى ميردت حتى وقت متأخر من بعد الظهر .. ثم رن الهاتف ست مرات قبل أن يرد.

- ألو .. من المتكلم؟

صوته أجش وباتر .. بذلت جهدها لئلا تشعر بالإحباط.

- ميردت .. أنا ناي.

سأل بحدة: «من؟»

آه! يا إلهي .. لقد نسيتها!

- ناي داتسام .. ألا تذكرني؟ عقلت في منزلك يوم العاصفة الثلجية منذ أسبوعين .. واضطرتت إلى قضاء الليل في منزلك.

ران صمت طويل على الجهة الثانية من الخط .. صمت طويل .. فبدأت تتساءل عما إذا كان معها على الخط وعندما تكلم أخيراً، قال بصوت منخفض رقيق:

- أذكر .. أذكر أنني استيقظت ولم أجدك .. ماذا تريدني؟

قالت: «لي عندك طلب».

ابتلعت ريقها .. فلسبب ما كانت حنجرتها جافة جداً.

كرر بصوت أجش:

- طلب؟ لنفسك؟ ماذا تريدني؟ مالاً؟

- آه! لا .. لا! كيف لك أن تفكر في هذا؟ يا لعقلك هذا! إنك لخص كثير الريبة .. ليتني لم أتصل بك .. قاطعها بفظاظة:

- لماذا لا تقفلين الخط إذن .. سأقفل أنا.

سمعت طقطقة في الجهة الثانية من الخط، وران الصمت .. أهدأت السماعة بغضب إلى مكانها ونظرت إلى الهاتف للحظات وراحت تنعت ميردت لايتون يشتي الأسماء البديئة التي طالعنها. ثم ولفتت وتوجهت إلى المطبخ حيث كانت كينان تعجن الخبز للعشاء.

- أقفل الخط في وجهي .. ظن أنني سأطلب منه مالاً آه! لم ألتقي قط شخصاً مثيراً للسخطة مثله ..

سألت كينان بطريقتها الهادئة:

- وماذا ستفعلين الآن؟ تتخلين عن الأمر؟

- لا .. لا .. أبدأً هلا أعرتني سيارتك لأذهب إليه .. سأكلمه وجهاً لوجه.

- هذا جيد لك .. أما السيارة فاستخدميها يا أختي متى أردت.

لقد ولّى شهر أيار وحل شهر حزيران الذي قلب حال حدائق المنازل بشكل عجيب. فها هي أزهار النرجس والزنباق تنهادر مع النسيم القادم من البحر، وبدأت براعم كل الأزهار تخرج إلى الحياة من جديد.

كانت طريق منزل لايتون الداخلية تلمع كالذهب في الأماكن التي لمكنت الشمس فيها من اختراق الصنوبر وبدا المنزل ذاته مشرقاً بسبب انعكاس أشعة الشمس عليه ومختلفاً جداً عن آخر مرة رآته فيها.

ارتقت الدرج العريض القصير ثم رنت جرس الباب .. من الداخل سمعت نباح كلب، ثم سرعان ما توقف. لكن الباب لم يفتح، فرنت

مرة أخرى فتعالى النباح من جديد ولم يفتح الباب .
تمتعت لنفسها :

- ميردت لايتون . . لا يمكن أن تخدعني . . أعرف أنك هنا .
لم يكن الباب الأمامي مغلقاً بالرنج لذا تمكنت من دفعه ليفتح ،
إنما بحذر شديد لئلا تثير كولت عليها . . ولكن وبألم شديد لم تجد
الكلب في الردهة ، وتمكنت من الدخول دون إعاقة .
أغلقت الباب وراءها بهدوء ثم وقفت لبضع لحظات وهي
تصغي . . كان المنزل مقارنة بالمرة الماضية غارقاً بالألوان وهو صامت
صمتاً مطبقاً فلا ريح تن ولا حطب تتأكله النيران .

نادت : «ميردت؟ ميردت؟ هذا أنا . . تاي !»
جاءها صوت عواء الكلب من مؤخرة المنزل لكن كولت لم يظهر
في الردهة ، فظنت أنه محبوس في المطبخ لذا ينبح .
لم نسمع رداً على ناداتها ، فتحركت نحو مدخل غرفة الجلوس
الكبيرة . . كانت أشعة الشمس تندفق من النوافذ الغربية ، وتلمع على
الخزائن الزجاجية وعلى البيانو المشع بلون وردي . . وكانت الأرض
السندية الخشب تلمع بلون بني ذهبي . . وبدأ رخام المدفأة شاحباً .
أحست تاي ، أكثر من ذي قبل ، أن الغرفة الرحيبة الأنيقة موقع ممتاز
لحفلة موسيقية صغيرة . . وكادت تسمع صوت البيانو والآلات الوترية
وهي تعزف موسيقى «براهمز» يتبعها موسيقى «موزارت» وهي تعزف
على الكلاريت .

لم يكن ميردت في الغرفة ، بل لم تجد ما يدل على أنه دخل إليها
هذا اليوم . . كانت نظيفة لا غبار عليها .
نادت حين عادت إلى الردهة :
- مرحباً . . ألا أحد هنا؟

نبح الكلب من جديد .

كان باب غرفة ميردت مغلقاً . . أتراه فيها؟ دنت تاي من الباب تدقه
بهدوء ، ثم أدارت المقبض ودفعت الباب لتتظر إلى الداخل فإذا السرير
مرتّب والأثاث نظيف وميردت غير موجود هناك .
أقفلت الباب وتسمّرت مرة أخرى . ثم سارت في الممر إلى
المطبخ . . فنبح الكلب وسمعته يضرب بمخالبه الباب من الناحية
الأخرى فدقت الباب بيدها .

- ميردت لايتون . . هل أنت هنا؟

نبح الكلب لأنه غير قادر على الخروج من المطبخ . . لم تجرؤ
على فتح الباب خشية أن يفزع كولت عليها . شعرت بالإحباط وبدأت
لعمري أدراجها . . ثم فجأة انفتح باب المطبخ ، وظهر ميردت فيه مشعث
الشعر يخشى عينيه المحاطتين بظلال سوداء . .
قال بقسوة : يا إلهي ! ألا تتراجعين أبداً؟ لماذا جئت إلى هنا؟ ماذا
لربدين الآن؟

رأته . . طويلاً . . عريض المتكبين يرتدي كنزة وسروالاً من الجينز
فالر منظره عظيم الأثر فيها . . أحست فجأة وكان ساقها أصبحتا
رغوتين ، فوضعت يدها على الجدار لتدعم نفسها .
همست : جئت . . أراك وأسألك ما كنت سأسألك إياه عبر
الهاتف . . لكنك . . أقفلت الخط بوجهي .

تحرك فجأة وأقفل باب المطبخ وراءه ، فأن الكلب لأن سيده ابتعد
عنه .

بعدما أقفل الباب عاد الممر إلى ظلمته أما ميردت فدنا منها ، ثم
لوفف أمامها ورفع يده ليلمس وجهها . . ثم تحركت أصابعه إلى
صدغها ، ثم أندست في شعرها .

تمتم بصوت غريب ونظر إليها عبر نظارته السوداء :
- أنت حقيقية إذن .

أخذت أصابعه الحرة في مداعبة خصل شعرها الحريري ثم
تعمقت فيه ، تشده وكأنها لا تشيع منه .
قالت بصوت مرتعش : «أجل .. أجل .. أنا حقيقية» .
بدأت مشاعر غامضة تنساب في أعصابها ، وسرت الدماء حارة في
قلبيها . فردت :

- آه .. أجل .. أنا حقيقية .. حقيقية جداً .

رفعت نفسها إليه ووضعت يديها على صدره ، ثم رفعتها إلى
كتفيه .. وارتفع وجهها نحوه بملء إرادتها .



٥ - تعالي إلى الظلام

لما نفا بلهفة وكأنهما حبيبان طال فراقهما ، وتدفق الهيام الحار
بمراسة في شرايينهما . . في تلك الزاوية المظلمة من المنزل الصامت ،
لعلهما ببعضهما بعضاً ، ومضت لحظات لم يعيا فيها الزمان أو المكان . .
بل وهما وأحسا فقط ببعضهما بعضاً .
لكن عندما أسندها ميردت إلى الجدار ، قاومت ناي لتنفو فوق
أعراج المشاعر التي كانت تغمرها .

همست ويذاها تلتفان حول معصميه في جهد :

- لا .. لا .. لا .. انتظر .. أرجوك انتظر ! أنا لم آت لأغويك بل جئت
أسالك ..

انقطع كلامها بوحشية لأنه ضمها إلى صدره بقوة وبدا لها أن ظلاماً
مليئاً بدأ يستولي عليها ، فكبّت كل أفكارها العاقلة ، وتوقفت عن أن
تكون إنسانة مستقلة مسيطرة على مصيرها ، لتصبح مخلوقة محكومة
بالمشاعر والأحاسيس تحت رحمة يدي ميردت .

همس في أذنها بأنفاس مقطوعة :

- الآن عرفت أنك حقيقية .. لم أكن متأكداً .. ظننت أنني حلمت
أن امرأة رقيقة جاءت إلى عتبة داري وقلبت كياني كله ولكنها رحلت
كالطيف .. اعتقدت أنني أتخيل مرة أخرى . لهذا أقتلت الخط .
ضحك برقة وأنفاسه تدغدغ أذنها :

- لكن هذا ما حصل، نعم جئت إلى هنا. وأعرف الآن أنك امرأة حقيقية، امرأة من لحم ودم. وأنت لست شبحاً كما في تلك القصيدة أبعداً عنه وهو يمسك ذراعيها:

- لماذا تركتني قبل أن أستيقظ ذلك الصباح؟ لماذا رحلت؟
- لقد أبقتك، وانتقلت إلى غرفتك. والحقيقة أنني لم أرغب أن يجذني الزوجان ماك كاب في غرفة نومك.
نظرت إليه خائفة من تصرفاته قليلاً.. هل هو مجنون حقاً؟ هل اختل عقله بسبب بقاءه وحيداً؟

أضافت: كان عليّ العودة إلى الفندق في أسرع وقت ممكن لأطمئن أختي.. وكان من الأفضل أنني غادرت.. ألا ترى هذا مبرراً؟

قال بمرارة:

- أنا لا أرى شيئاً كثيراً.. لم أكن واعياً عندما انتقلت إلى غرفتي.. ولكن أفضل لمن؟ لم يكن أفضل أمر لي.. أما الآن فلن أدعك تتركيني مجدداً.

- لكنك لا تستطيع إجباري على البقاء إن كنت غير راغبة في ذلك.
- بل سترغبين.. وسأؤكد من هذا.

شدها إليه، لكنها أشاحت وجهها بسرعة جانباً متجنبة إغواءه.
همست: أرجوك.. أرجوك.. تصرف بتعقل. لقد جئت في الواقع لأطلب منك خدمة. أريد أن أكلمك عن غرفة الجلوس في دارك.

ألهاه ذكر الغرفة عنها، فهوت يدها عن ذراعيها وارتد عنها.

- حسناً فلتكلم.

جلست على الأريكة أما هو فوقف قرب المدفأة وذراعه على رفاها

الرخامي واستدار ليواعدها.

- إذن ما هي تلك الخدمة التي تريدنيها؟

جال بصرها في الغرفة وكأنها تفتش عما يلهمها الكلام.. توقفت أمام البيانو معجبة بلونه الوردى وبأناقة تصميمه.. بدا لها أن أحداً ما كان يعزف عليه لأنه كان مفتوحاً.. أتسعت عينها قليلاً.. فثمة شيء ما على كرسي البيانو.. غيتار كلاسيكي وهو جديد.

سألت بلهفة: «من أين جئت بالغيتار؟»

- طلبت من جوزف أن يشتريه لي من «بانغور»، فقد أثرت بي لصيحتك كثيراً.

ارتدت تنظر إليه مجدداً:

- وهل كنت تعزف عليه؟

- كنت أحاول.

همست: «ما أشد سروري!»

ثم أردفت بسرعة:

- عندما كنت هنا أخبرتك عن المجموعة الموسيقية التي تأسست في نورثيورت.

عيس: «وهل أنت عضو فيها؟»

- أجل.. أنا الآن عضوة فيها..

- إن جئت إلى هنا لإقناعي بالانضمام إليكم فانسى المسألة.. لأنني لن أجعل من نفسي غيباً أمام الموسيقيين الآخرين.

- لن أطلب منك الانضمام.. لأنهم لا يقبلون إلا العازفين المحترفين وهم الآن مستعدون لإقامة حفلتهم الأولى لكنهم لا يجدون مكاناً مناسباً.

صمتت وراحت تدرس وجهه، أيصني إليها أم يشعر بالضجر من

أردفت: «على أي حال... أخبرتهم عن هذه الغرفة والبيانو».
قال بحدة: «حقاً؟ ولماذا؟»

- لأن... لأنني لم أستطع منع نفسي من التفكير في أنها موانع مناسبة للحفلة الموسيقية. ودون... إنه دون بورتلاند عازف الكمان الشهير المتقاعد الآن... طلب مني أن أسألك ما إذا كنت على استعداد لإقراضنا الغرفة للحفلة.

صمت مرة أخرى، فلاحظت بسرعة القسوة التي علت وجهه ثم أردفت بصوت ضعيف:
- هكذا... هاأنذا هنا، أسألك. هل تقرضهم الغرفة مبردت... أرجوك؟

- أهذا هو السبب الوحيد الذي دفعك للاتصال بي ولهذا جئت إلى هنا؟

همست: «أجل... إنه السبب الوحيد».

لم يحرك ساكناً للحظات، ولم يقل شيئاً... فجأة ابتعد عن المدنا ودنا من البيانو وقف هناك لحظات وظهروا إليها وراح يمرر يده على طرف البيانو. ثم استدار ببطء واستند إلى حنية البيانو... وقمه مشدوه في خط متجههم.

قال بصوت أجش: «ألهذا فقط جئت؟... أغريني عن وجهي».
هبت واقفة وصاحت بعجز:

- ليتني ما جئت إلى هنا... ليتني ما جئت؟ عرفت أنك هكذا! ارتدت عنه واتجهت نحو الباب:

- ناي... لا، لا تذهبي.

سار نحوها ليلحق بها، فتوقفت وانتظرت حتى وصل إليها.

- سأعود إلى نورثبورت لأخبر رفاقي الموسيقيين أنني طلبت منك إعارتهم الغرفة وأنت رفضت.

رد بيرود: «لكنني لم أرفض... بل قد أوافق على أن يقيموا حفلتهم الأولى في هذه الغرفة... والأمر وقف عليك».
دهشت: «كيف؟»

- كنت أفكر في النصيحة الأخرى التي نصحتني بها تلك الليلة، غير مسألة الغيتار.

همست: «آية... آية نصيحة؟»

- نصيحة الزواج. اقترحت أن علي الزواج وإنجاب الأولاد لأن ذلك سيعطيني سبباً أعيش من أجله... ألا تذكرين؟
- بلى أذكر.

- حسناً وجدت أنك على صواب... يجب أن أتزوج... إذا وافقت على الزواج بي ما إن نحصل على الترخيص أوافق على إقامة الحفلة في هذه الغرفة.

تمتت بذهول والصدمة تصعقها:

- هذا... إنه... أنت مجنون! لا يمكن أن نتزوج!

- ولم لا؟ نحن راشدان ونتمتع بحرية التصرف... فمن يستطيع منعنا؟

- لكن... نحن لسنا... نحن غير متحابين... أنا لا أحبك... وأنت لا تعنيني.

- إذن ما هو بحق السماء هذا الذي بيننا؟ لماذا تشتعل قلوبنا وهوارحنا كلما التقينا؟

- إنه... ليس الحب... ليس الحب... إنه مجرد افتتان لن يدوم.
وهذا ليس سبباً للزواج.

قال من بين أسنانه:

- ومن يقول هذا؟

- أنا أقول ذلك .. أنا .. لن أستطيع الزواج بك .. لأنني .. لا

أحبك.

- لا تبدين وثيقة من هذا.

تغير مزاجه مجدداً، واسترخت يده عن ذراعيها وارتفعتا إلى
كتفها وعنقها .. فجاءت الاستجابة من أعمق كيائها أقوى من إرادتها.
وتأوهت وأغمضت عينيها احتجاجاً على مثل هذا الاضطراب الساحر.
قال وأنفاسه على خدها:

- تزوجيني تاي .. وعيشي معي هنا. تزوجيني واجلبي جميع
الموسيقين في العالم ليعزفوا هنا ساعة تشائين، تزوجيني ليصبح هذا
المنزلة منزلك فتفعلين به ما تشائين .. وسترين كم سأكون كريماً.
همست: فقط عندما تريد شيئاً .. أه! دعني! .. لا أستطيع التفكير
السوي وأنت تضميني هكذا ..

تمتم: «لا تفكري إذن .. أشعري فقط وقومي بما تشعرين أنك
تريدين القيام به .. ولنستفد بأكبر قدر ممكن من هذا التجاذب الغريب
القائم بيننا .. اقتنا، حمى الربيع، سمه ما تريد .. إنه موجود، وهو
جيد .. جيد جداً»

لف الظلام تفكيرها مجدداً .. وأدار سحر أسود رأسها .. إنه
مصيب، وهذا جيد .. وهي تنوق إلى قضاء العمر معه .. ولكن صوتاً
غريباً تسلل إلى عقلها وكأنه نور رمادي بارد بدد الظلمة الدافئة وأظهر
لها المخاطر المتوارية إن تزوجته .. فتحت عينيها وأبعدت وجهها عن
كتفه ودفعته عنها.

صاحت:

- لا .. لا .. لا أستطيع الزواج بك .. أنت لست طبيعياً .. لا، لا

أستطيع الزواج بك! أنا خائفة من الزواج بك.

- خائفة؟ ولماذا بحق السماء؟

- لأنك .. لأنك .. تمتلك القدرة على .. أن .. أن ..

صاح: أن ماذا؟ ما الذي لدي القدرة على فعله ..

لكنها لم تستطع أن تقول له إن له القدرة على تحطيم قلبها .. فهو
في يوم من الأيام وبعدما يتغلب على إحباطه وغضبه بسبب إعاقته، قد
يلدم على زواجه بها ويرغب في حرته.

صاحت بجنون: «لا شيء .. لا شيء!»

سحبت نفساً عميقاً محاولة السيطرة على نفسها:

- الرد هو لا ميردت .. لن أنزوجهك .. حتى لمساعدة
الموسيقين .. سأذهب الآن. أعتقد .. أعتقد .. أنك لا تريد مني أن
أبقى .. وداعاً.

ارتدت على عقيها عائدة أدراجها أما هو فلم يلحق بها .. فتحت
الباب وخرجت إلى أشعة شمس الربيع الدافئة واتجهت إلى سيارتها ..
إلى مقعد السائق .. كانت تتحرك كأنسان آلي لا مشاعر له .. لكن يد
الإنسان الآلي لا ترتجف عادة حين تشغل مفتاح المحرك .. والإنسان
الآلي لا يبكي دموعاً مالحة كما بكت وهي تقود في ممر المنزل
الداخلي.

لم تشعر قط بمثل هذه المشاعر بعد افتراقها عن برنابي .. الآن
لنمر بأنها منقسمة إلى شقين، شق منها يتوق للعودة إلى ميردت لشرح
ما كانت تقصده بقولها عندما رفضت الزواج به لأنه غير طبيعي وهو شق
بالعما إلى أخذه بين ذراعيها، وشق آخر يريد منها الابتعاد قدر
المستطاع عنه .. والاختباء في زاوية من مكان ما حتى تخف آلام

إعلامها له . . حتى تنساه، وينساها.

آه! يا إلهي! هل سأتمكن يوماً من نسيانه أو من نسيان ذلك التعبير الذي لاح على وجهه حين قالت إنها لن تستطيع الزواج به لأنه غير طبيعي؟ كانت قاسية، ظالمة، مع أن نيتها غير ذلك أبداً . . فقد قصدت أنه ما كان ليطلب الزواج بها لو كان بصيراً غير أعمى . . إنها تحاول منعه من ارتكاب غلطة قد يندم عليها فيما بعد. آه! كم تأمل أن يفهم ويسامحها على ما قالت!

صاحت كينان وتاي تدخل المطبخ:

- يا الله! ماذا بك؟ تبدين وكأنك رأيت نهاية العالم! هل تشاجرت مجدداً مع الأسد؟ وهل عضك؟

انهارت تاي على كرسي قرب الطاولة:

- ما كان عليّ الذهاب إليه . . آه كينان. لقد خلقت مشكلة رهيبة.

- أظنه رفض . . هل كان فقط معك؟

نفخت أنفها وهي تتابع التحيب:

- أجل . . ولا . . طلب مني الزواج.

أوقعت كينان الملعقة الخشبية في وعاء الطبخ وارتدت لتنظر إلى

أختها بعينين متسعيتين.

- ماذا؟ أنت تمزحين!

- لا . . لا أمزح. قال إنه سيسمح للفرقة باستخدام غرفته إذا وافقت

على الزواج به.

- إنه مجنون!

- هذا صحيح . . إنه نصف مجنون لأنه لا يرى جيداً ولا يستطيع

القيام بما يحب القيام به . . هذا ما قاله.

- وهل رفضته؟

- نعم رفضته . . وهل تتوقعين مني الزواج برجل لا أكاد أعرفه.

لا يعرف ماذا يفعل أو يقول؟

- لا أعتقد هذا . . ولكنني لا أفهم سبب تكدرك ما دمت لا تحبينه.

- لم أقل أنني لا أحبه . . أبداً!

- بالتأكيد لم تقولي هذا، ولكنك تتصرفين على هذا النحو.

قالت تاي ساخرة:

- إنه ليس النوع الذي يحب أو يكره . . أنت إما تحبينه وإما

تكرهينه!

رفعت كينان حاجبها سخريّة:

- آه! حقاً؟ وأنت تكرهينه كما أعتقد.

- آه . . لا أدري . . لا أدري! لا أريد الحديث عنه.

هزت كينان كتفها: حسناً جداً . . لكن من المؤسف أنك لم

تفهمي بوافق على طلب الفرقة الموسيقية . . متى تخبرين دون؟

- غداً.

بسبب اضطراب أفكارها وبسبب ما بدا عليه ميردت حين رفضت

طلبه نامت نوماً سيئاً، واستيقظت في الصباح التالي والكأبة تغلفها

والدموع بالذنب يتأكلها.

قالت كينان بمكر:

- هل تمنين لو قبلت؟

كانت الشمس في الخارج تلمع فوق العشب المُنْتَدِي . . وبدت

عصافير الدوري تقفز بحثاً عن الديدان . . وراحت عصافير أخرى تزقزق

على الأشجار.

نهدت تاي: لم أستطع القيام بغير الرفض . . إنما أتمنى لو . .

أو . . آه . . اللعنة!

أمسكت رأسها بين يديها ووضعت مرفقها على الطاولة، ونظرت إلى الطبق أمامها:

- لبتة لم يطلب مني شيئاً.. وإلا ما اضطررت إلى رفضه وإيلامه وجعله يظن أنني رفضته بسبب.. بسبب.. عماء الجزئي.

- هم.. أفهم قصدك.. وهذا شعور غير لطيف.. فأنت تشعرين أنك جرحت مشاعره، والأسوأ أنك سددت ضربة موجعة لكبرياء الرجل ولا بد أنه الآن يكرهك كثيراً.

تنهدت تاي بيؤس: «هذا ما أعتقد.. كينان هل سبق أن أفنتك برجل؟»

ارتفع حاجبا كينان: «افتنت؟ ماذا تعنين؟»
- أقصد هل سبق أن شعرت بانجذاب جنوني تجاه شخص لا تعرفينه؟

أحست تاي بالدم يحرق وجتيتها لأنهما لم تتباحثا قط مثل هذه الأمور الحميمة..

قالت كينان ساخرة:

- ثائرة برغبة عارمة، متأثرة بتهور مبالغ فيه.. هذا على ما اعتقد هو تحديد القواميس للكلمة.. أجل أحسست بهذا مرة أو مرتين حين كنت صغيرة.

رفعت رأسها فجأة وقد تلاشت ابتسامتها:

- أهذا ما تشعرين به نحو ميردت لايتون؟

- أجل.. على الأقل.. هذا ما أظنه.. ولا أظنه شيئاً آخر. وهذا هو شعوره أيضاً..

همست كينان: «يا إلهي! أنت بالتأكيد لم.. لم..»

- لم أنم معه.. لكننا لم نكد نستطيع نزع أيدينا عن بعضنا بعضاً.

أدركت كينان:

- أه تاي! إذن.. لماذا رفضت الزواج به؟

- للسبب الذي ذكرته.. ألا ترين.. الافتتان لا يدوم.. وهو أساس غير صالح للزواج.

سخرت منها كينان:

- تقرئين الكثير من القصص الرومانسية. إن كان ما تشعرين به

الغالب فلماذا طلب منك الزواج؟

- لأن.. أه! لقد اقترحت عليه ونحن نتحدث أن الزواج هو أمر يستطيع القيام به حتى ولو كان نصف أعمى.. قلت له هذا كنوع من التماسا لأنه كان محبطاً كثيراً، يشعر بالعجز وبعدم الجدوى منه.. ولقد طلب مني الزواج لأنني المرأة الوحيدة التي رآها منذ مدة كبيرة.

قالت كينان بحزم: ولأنه منجذب إليك.. الجاذب الجسدي رغم ما يلقوه مرشد والزواج جزء هام جداً من أية علاقة.. فمعظم علاقات الحب ومعظم الزيجات تبدأ هكذا. ترين شخصاً في غرفة ما ويراك، و«أهولاً» تبدأ الكيمياء بالعمل.. على الأقل هذا ما حصل بيني وبين

ماركي.

نظرت تاي بدهشة إلى رأس أختها المطرق، وإلى الفرق الأبيض

الذي يقسم شعرها قسمين.. وسألت:

- أين التقية؟

- في مزاد علني.

- مزاد علني؟

تذكرت تاي أنها زارت والدتها هذه المزادات.. فأهل ماين

دهورون بها. ففي كل ستة ينظفون السقيفة والكاراج والمخزن السفلي في منازلهم، ويعرضون ما يجدونه للبيع في المزاد أمام المنازل، أو في

الحدائق التي يسمونها باحات، ويأتي الجميع ليشتري ما يحتاج إليه بعض الأحيان من السهل التقاط قطعة أثرية حقيقية بيضعة دولارات وكان أبوها صاحب قدرة على معرفة الحلي لذا وجد الكثير من السلاسل الفضية أو «بروشات» ذهبية مخبأة بين حلي عادية بشعة، وباع ما كان يشتريه بثمان جيد.

أردفت كينان:

- أجل... ذهبت إلى منزل كاريتتر... أذكرين المكان في أعلى النهر؟ لقد ماتت السيدة العجوز مارتا كاريتتر التي عاشت هناك ولم تخلف وراءها من يرثها... فكان أن عرض متقلد وصيتها الأملاك للبيع... معظم الأثاث الأثري ذهب إلى صالات المزاد العلني... لكن بعض أغراض المطبخ، وقسم الخدم عرض في أكبر مزاد عرفته القرية والتاحية كلها.

أشارت كينان للكراسي حول الطاولة:

- اشتريت هذه الكراسي من هناك... وكان شاركي هناك فأعطاني رأيي بالخشب، أما هو فكان يفضل خشب السنديان ليستخدمه في صنع مراكب الصيد... اشترى طاولة سندبانية ضخمة بيضع دولارات... التقيت في باحة البيع... و «هوبلا» بدأت الكيمياء بالعمل أنقولين إن هذا ما حدث؟

- هذا صحيح... ولكنه لم يكن لقاءً عاصفاً كلفائك بميرد لايتون... إنما لست أنا ولا شاركي شخصين ديناميكين... جاء تعارفنا بطيئاً وما يزال.

رفعت كينان رأسها فبدأ الألم على وجهها وأضافت: «أترين؟ إنه متزوج».

همست تاي مرتاعة: «آه! كينان!»

- هو منفصل عن زوجته منذ ما يقارب الثلاث سنوات وقد حدث ذلك عندما اشترى فناء المراكب هنا. والواقع أنها رفضت مرافقته لأنها لا تحب العيش في الريف ولأنها غضبت منه بسبب تخليه عن وظيفته في بوسطن ليصبح صانع مراكب... كما أعتقد.

- إذن... لماذا لا يطلقها؟

- لن توافق على الطلاق... فهي تأمل أن يفشل في عمله هنا ويعود إلى بوسطن... إنه موقف كرهه تاي... ولا أحب القول هذا عن امرأة أخرى... لكنها فعلاً فاسقة، لا تريد القيام بشيء لمساعدته ولا تريد أن تتركه.

- لديهما أولاد؟

- لا... والحمد لله.

حدثت ترتشف قهونها ووقفت:

- حان وقت العودة إلى العمل... سأقدم الطعام لحفلة عيد ميلاد الليلة... حفلة كبيرة... أكبر سكان نورثورت سنأ توني يونغ، يبلغ الخامسة والتسعين اليوم لذا قررت عائلته وأصدقاؤه إقامة حفلة له... وأمل أن تكوني هنا لمساعدتي... ماذا ستفعلن هذا الصباح؟

- سأقصد دون لأنقل إليه الخبر السيء المتعلق باستقراض غرفة طمس ميردت لايتون.

- اعرضي عليهم استخدام صالتنا هنا فلا بأس بحجمها... يمكنكم وضع بيانو أمام النافذة وبإمكانني ترتيب مقاعد تكفي خمسين شخصاً... يمكننا إقامة حفلة استقبال بمناسبة العرض الأول... وسأقدم لهم الأطعمة وعصائر ليلتي الجمهور بالموسيقين ولن آخذ أجراً منهم لأنها ستكون مناسبة للدعاية للفندق خاصة إن غطي التلفزيون المحلي الحفلة.

حضنت تاي أختها: «كينان.. أنت ملاك! سأخبر دون بذلك وسيكون هذا سبباً لإبعاد الإحباط عنه. أشعر أنني أفضل حالاً الآن شكرًا لك.. شكرًا لك!»

قالت كينان بحفاوة: «الاعتراف أفضل للروح.. إنما لا تهتمي بي أتريدين السيارة للذهاب إلى منزل دون؟»
- لا.. أعتقد أن من الأفضل لي أن أسير.. ركبني أفضل حالاً والمكان غير بعيد.

كانت الشجيرات المحاطة بسياج خشبي أبيض في الحديقة الصغيرة أمام منزل دون تضج باللون الأصفر وعلى الباب الأمامي الأسود لوحة نحاسية على شكل نسر. بعدما دقت تاي مرتين عليها فتحت زوجة دون الباب فوراً.

قالت وهي تتراجع لتفسح المجال لتاي حتى تدخل:
- كان دون بهمّ بالاتصال بك.. دون.. تاي هنا!
خفت دون إليها مرحباً واتجه إليها مبتسماً ثم مَدَّ يده إليها وأمسك بيديها اللتين رفعهما إلى شفتيه ثم صاح بانفعال: «لقد فعلتها.. فعلتها».

سألت تاي بحيرة:
- ماذا فعلت؟
- لقد روضت الأسد المخيف في عرينه.. وجعلت ميردت لا يتبون بوافق على استخدام منزله للحفلة!
سألت بصوت ضعيف: «حقاً؟»

- طبعاً.. أليس هذا ما دعاك للمجيء إلينا؟
قالت زوجته: اهدأ يا دون.. اهدأ.. ورافق تاي إلى غرفة الجلوس.. سأجهز القهوة، أنحبين القهوة في الصباح تاي؟

- أجل.. أجل..

جرها دون إلى غرفة الجلوس ودفعها لتجلس في مقعد مغطى بالقماش. ثم جلس على كرسي هزاز مرتفع الظهر. قال: «اتصل بي في الصباح الباكر.. بعد الساعة بقليل.. كنت أنا وزوجتي في السرير.. قال إنك طلبت منه ذلك بالأمس وأنه خلال الليل فكر بالأمر وقرر أن يسمح لنا باستخدام الغرفتين الكبيرتين في طابق منزله الأرضي من أجل الحفلة.. يريد مني أو من أي شخص آخر أن يذهب إلى منزله بعد ظهر اليوم للإلقاء نظرة على الغرفة، وفي هذا الوقت يأمل أن يكون قد اتصل بالفلوريون المحلي العام ليرسلوا مخرجاً ومصورين للقائنا ولإلقاء نظرة على الغرف التي ننوي استخدامها، ليخططوا للتصوير».

صمت دون ليلتقط أنفاسه وصفق يديه بانفعال:
- هذا رائع.. رائع جداً! لا أكاد أصدق، والفضل كله عائد إليك.. لم تستطع تاي أن تصدق أذنيها.
همست: لم أعرف.. لم أظن.. عندما تركته بعد ظهر الأمس لم أدر بأنه سيوافق بل الواقع أنني تصوريته سيرفض.
برقت عينا دون:

- إذن ربما رغب في مغازلتك قليلاً.. هه؟ ربما تظاهر بعدم اهتمامه ليفاجئك اليوم. هكذا يتصرف بعض الناس حين يجدون المسهم في مركز سلطة.. إنه يتوقع منا الذهاب في الساعة الرابعة من هذا المساء.. سيرافقنا جاد وطلبت كذلك من شيلا مرافقتنا فعلى جاد ولشيلا أن يريا البيانو فشيلا بارعة بهندسة الصوت.

ردت تاي بحزم: «لن أرافقكم فلن تحتاجوا إليّ هناك».
دخلت ليزا زوجة دون إلى الغرفة حاملة صينية قهوة:
- بل عليك الذهاب.. فأنت عضو العلاقات العامة في الفرقة..

وأنت من اتصل بالسيد لا يتبون . دون ، يجب أن تصر على مرافقتكم
لتقدمكم إلى السيد لا يتبون .

قال دون : وأنا مصر على ذلك تاي . . وإن لم تذهبي معي فلن
أذهب وبذلك نفقد الفرصة .

قالت تاي وهي تتناول فنجان القهوة من ليزا :

- قد تجد الغرفة غير مناسبة .

- لن أقرر حتى أراها . ولن أراها إن لم ترافقيني .

- آه! حسناً . سأرافقكم إنما علي العودة قبل السادسة لأساء

كينان . . إنها تقدم الطعام لحفلة عيد ميلاد السيد يونغ .

- ستعودين إليها . أعدك . والآن أود أن أسألك إن كنت ترغبن

في العزف معنا . لقد قررنا أنا وجاد أن تشاركينا بالعزف ، فهل توافقين

على عزف ثلاثي (تريو) الكلارنيت ، والبيانو والقيولا لقطعة من

موسيقى موزارت؟ ستكون أمسية موسيقية رائعة .

وافقت بحماس : «سأحب هذا كثيراً» .

قالت لكينان فيما بعد :

- لكن . . لماذا . . لماذا وافق؟ قال إنه لن يوافق إلا إذا وافقت على

الزواج به . . وأنا لم أوافق .

ردت كينان : لا تسأليني ، بل أسأليه هو بعد الظهر .

- حاولت التهرب من الذهاب ، لكن دون أصر . . قال إنه لن يذهب

إن لم أرافقه .

وتنهدت .

سألت كينان : «ولماذا لا ترغبن في الذهاب؟»

- لا أريد رؤيته مجدداً آه! كينان . . أنا خائفة منه . . حقاً خائفة .

- خائفة أن يهاجمك فتعجزين عن المقاومة؟

- أجل . . هذا هو السبب بالضبط .

- إذن ليس عليك إلا عدم الانفراد لوحذك به أكثر من نصف

ساعة . . ابقِي قربية من دون الذي أظنه سيكون مسروراً بحمايتك .

صاحت تاي بغضب : «ليس الأمر مضحكاً!»

- لا . . لا أعتقد . . لكن ما دام هذا هو شعورك تجاهه فلا أفهم

لماذا رفضت عرضه .

- لا أريد أن أتزوج لمجرد أنني أبدو له . . تحت الطلب ، أنا أريد

أن أتزوج من أجل . . أجل الحب .

تنهدت كينان : «أوليس هذا ما نهدف إليه جميعنا؟ لكن كم مرة

يحدث هذا؟ أراك فيما بعد» .

حين ترجلت كينان من سيارة دون في الرابعة من بعد الظهر شمت

الرابعة عشب مجزور حديثاً . . رأت جوزف ماك كاب يركب جرافة قص

العشب الصغيرة ويدور فيها في المرحلة الكبيرة إلى جانب المنزل . من

هبط حافة المنحدر الأخضر كان الخليج يبرق تحت أشعة الشمس

وبدت الجزر طافية على سطحه . . أما التلال الكندية فبدت حمراء

لورمزية أمام الشمس الزرقاء .

صاح دون وهو يصفق يديه بابتهاج :

- جميل . . جميل !

بدا المنزل مرحباً . . فالنوافذ تلمع بالنور ، والباحة الخشبية

مضبوطة والباب الأمامي مفتوح . . سارت تاي في المقدمة من غرفة

الجلوس إلى اليمين وهناك تعالت أصوات فدت من الباب ، فإذا ميردت

والف قرب البيانو ومعه شخصان امرأة ورجل . المرأة ترتدي ثياباً

هادئة ، سروالاً بنياً وبلوزة بيضاء وسترة بنية قصيرة وتضع حول عنقها

مديلاً مبهرج الألوان ، أما وجهها فتحيل وشعرها بني أجعد . . لاحظت

المرأة دخول تاي، وقالت شيئاً لميردت فالتفت ليوواجه الباب.

تقدمت تاي متوترة وقالت بكل برود:

- ميردت! دون بورتلاند هنا ومعه جاد باشيمو وشيلا فايكلااند.

يمكنهم الدخول لإلقاء نظرة على الغرفة؟

أجفلته رنة صوتها الباردة فعبس... ظنت للحظة أنه لن يرد.

عليها... ولكنه رد ببرود مماثل:

- بالتأكيد يمكنهم الدخول فلهذا جاؤوا!

لكن تصرفه تغير بشكل عجائبي ما إن قدمت له دون إذ لم يعد بارداً

جلفاً... فقد صافح عازف الكمان بحرارة، ورحب بضيفيه الآخرين

وقدمهم إلى ضيفيه.

المرأة هي جوليا غرين، مخرجة برامج في التلفزيون المحلي

العام... والشاب هو كليف نورداي الذي سيصور الحفلة الموسيقية!

قال ميردت: "رجاءً تصرفوا بحرية مطلقة وناقشوا ما تريدون القيام

به مع جوليا وكليف، وإن أردتم أن تطرحوا عليّ شيئاً فأننا في الشرفة في

الخارج".

جاء صوته مهذباً، متسلطاً وبارداً، وبدا مختلفاً كل الاختلاف عن

ميردت الذي تعرفه تاي وقد تجاهلها وكأنها غير موجودة.

لم تكذب تسميع ما يقوله دون لممثلي التلفزيون لأن الاندفاع للحال

بميردت كان قوياً وقد استسلمت له معتذرة وتوجهت إلى الأبواب

الزجاجية المفتوحة، متظاهرة أنها لا تشعر أن الجميع التفت لينظر إليها

وهي تخرج.

كان ميردت في ناحية بعيدة من الشرفة، وبدا كأنه يحرق في منظر

التلال الخضراء المنحدرة نحو المياه الزرقاء والجزر البعيدة والتلال

كان كعباً حداثاً يصدران صوتاً على البلاط الحجري ومع ذلك لم

التفت إليها.

قالت: «ميردت».

صاح: «لماذا جئت؟»

- أصر دون على مجيئي معه لأقدمه لك... ميردت... لماذا وافقت

على إقامة الحفلة هنا؟ أرجو ألا يكون هذا... فهل تتوقع مني أن أغير

أبي وأوافق على الزواج بك من أجل قبولك بهذا؟

قال بلهجة قاسية باردة:

- لا أتوقع شيئاً منك... لا شيء أبداً. أنت امرأة متناقضة فساعة

تكونين باردة وأخرى تكونين امرأة حارة تقدم كل ما لديها ولكنك

تريهان ما تريدين استرجاع ما أعطته...

- أنا لست هكذا! أه! كيف تقول هذا؟ كيف تحكم عليّ مع أنك لا

تفهمني؟

- أعرف ما فيه الكفاية عنك ولا أريد أن أعرف المزيد. لقد عرضت

استخدام الغرفة على دون بورتلاند وفرقته الموسيقية لأنني أحترمه

كثيراً... كما أظن أن هذا مفيد لمجتمع نورثبورت... لا شأن لقراري

بك.

ران صمت عميق غير كامل لأن هناك جرافة تجزّ العشب، ولأن

موزونة شويان تصدح من الغرفة الأخرى حيث يستخدم جاد باشيمو

الباليو. أحست تاي عندما سمعت الموسيقى الرومانسية بأن قلبها

ينفطر المأ.

بدأت تقول بصوت منخفض:

- ميردت... أنا آسفة... أنا... .

ارتدّ إليها وقال بصوت مرير:

- على رفضك طلبي؟ لا تأسفني... كنت على حق برفضك... فأننا

لم أكن طبيعياً عندما تقدمت بطلبي . كنت مجنوناً وأريد منك أن تنسى
المسألة . أريد منك اعتبارها أمراً منسياً . مفهوم؟
رفعت بصرها إلى النظارة السوداء المكددة إليها، فتمنت لو
تستطيع رؤية عينيه . لأنه لا يعني ما يقول! فهو ليس قاسياً بمقدار ما
توحي به شفتاه المضمومتان بوحشية .
بدأت : « لكنني لا . . . »

قاطعها بحدة : « ولا تعودني إلى هنا مرة أخرى . بمفردك . أعني
لا تأتي إلى هنا أبداً إلا إذا كنت مع شخص آخر ، لا أريدك هنا . . ابلي
بعيدة عني . . مفهوم؟ »

لكن إذا وجد دون والمجموعة أن الغرفة مناسبة فسأضطر إلى
العودة . . لقد طلب مني دون أن أعرف معهم في الحفلة . . وأنا أرغب
في هذا . ولن أراجع الآن لأنك لا تريدني هنا .

التوت شفتاه : لن تكوني بمفردك وأنت معهم . . أليس كذلك؟
- أعتقد أنني لن أكون بمفردتي .

اغرورقت عينها بالدموع ، ولم تعد ترى المنظر أمامها .
ارتدت إليه متوسلة : « ميردت . . »

لكنها صمتت ثم ارتدت إلى الوراء حين أخذ يشتم بصوت
منخفض شرس . .

قال : « لا تجادليني ! ولا تقولي شيئاً آخر . . انتهى الأمر . انتهى !
انسيه ! »

تخطاها وابتعد عنها . . كان البيانو قد توقف ، وسمعت ناي
أصواتاً . اللحظات القصيرة معه انتهت . وعلاقتها به وتلك المشاعر
الغريبة ، انتهت . . استنفذت . . هذا ما قاله . . وحاولت التغلب على
رغبتها في الارتواء أرضاً لتتنحب وتبكي .

- أخبرني دون أن الفضل عائد إليك لأن ميردت وافق على إقامة
الحفلة هنا . . في هذا المنزل .

كان الصوت أنثوياً أجشّ وحاداً . . صوت امرأة اعتادت إعطاء
الأوامر ، إنها جوليا غرين . . تصلبت تاي ولكنها لم تلتفت إليها فعليها
لعل ذلك مسح الدموع التي انسكبت على وجنتيها .

تمتت : « كنت الوسيط ليس إلا » .

ثم ارتدت إليها مبتسمة :

- عادة لا بد من وسيط بين شخصين لا يعرفان بعضهما بعضاً .

- منذ متى تعرفين ميردت؟

عندما اقتربت المرأة من تاي وجدت أنها أكبر منها سنّاً ، فهي تناهز
الخامسة والثلاثين ، في مثل عمر ميردت تقريباً .

أضافت جوليا : « حسبما أذكر ، لم يكلمني عنك يوماً . . أعرفه منذ
زمن طويل » .

- منذ متى؟

لصاعد إحساس غريب في داخلها . . إحساس يشع له طعم مرّ .
في الغيرة من هذه المرأة الواثقة من نفسها والتي تعرف ميردت منذ زمن
بعد؟

- منذ عشر سنين . . بدأنا المهنة معاً في شبكة التلفزيون ذاتها ،
وفي الوقت ذاته .

- لم أعرف هذا . . لأنني لم أتعرف إليه إلا منذ ثلاثة أسابيع . .

الطبا صدقة . هل سبق أن زرت هنا؟ أعني هل عرفت أنه جاء ليعيش
هنا؟

- بالطبع كنت أعرف أنه يعيش هنا . . عشت معه هنا قبل الميلاد
أسابيع .

بدأت تاي تقول: «أوه... أنت إذن المرأة التي...»

- المرأة التي ماذا...؟ هل أخبرك ميردت شيئاً عني؟

- لا... بل شقيقتي... إنها تملك فندق نورثبورت... قالت لي إن

امرأة عاشت هنا فترة معه... كانت تراك في القرية... ثم غادرت.

لكنها تتذكر جيداً ملاحظة جوزف ماك كاب الحادة عنها وعن

مغادرتها المكان... قال إنها سافلة وأنه وقع بينها وبين ميردت شجار

ولهذا رحلت.

ردت جوليا:

- لكنني لم أبتعد كثيراً. عندما سمعت بخبر إصابته وعماء

تركت عملي في نيويورك وجئت لأكون معه... بذلت جهدي

لأساعده في التغلب على إحباطه لكنه لم يتركني أساعده، إنه متكبر

جداً.

تنهدت تنهيدة ثقيلة، وظهر الحزن على وجهها التحيل.

- كنا مقربين... وكنا نأمل أن تصبح علاقتنا دائمة في يوم من

الأيام. جئت إلى هنا لأكون معه... لكن هذا لم ينجح كما كنت أتمنى

ثم وجدت عملاً في التلفزيون المحلي... ثم ما إن سمعت بإمكانها

إخراج برنامج في منزل ميردت حتى تشبثت بالفرصة وجئت إلى هنا

لأراه.

تنهدت جوليا مرة أخرى: «وربما... إنها مجرد أمنية، قد يطلب

مني العودة لأعيش معه».

- أجل... ربما.

أحست تاي بالتوتر في أعماقها وكأنها كمان، أو غيتار مشدود

الأوتار، قد ينقطع وتره في أية لحظة... هل عودة جوليا هي السبب وراء

رغبة ميردت في نسيان عرض الزواج؟ أهو سعيد بعودة جوليا إلى

حياته؟ ألهذا السبب لم يكن يريد منها أن تعود بمفردها إلى هذا

المنزل؟

سألت:

- هل رتبتما كل شيء إذن؟ هل حددتما مع دون وجاد تفاصيل

التصوير؟

- ليس بعد... لكننا سنلتقي ثانية في الغد، في منزل دون... فقد

الفرحت عليه إقامة أكثر من حفلة... سلسلة من أربع حفلات... كل

واحدة تصور خلال أشهر الصيف في هذا المنزل. ثم تعرض على

التلفزيون في الخريف والشتاء، فما رأيك؟

فجأة، أصبحت جوليا مخرجة التلفزيون المفعمة بالتصميم

والحماس... التي تعرف ما تريد وكيف تحقق ما تريد.

قالت تاي:

- هذا عظيم... سيتهج دون بهذا كثيراً.

نظرت إلى ساعتها لأنها شعرت باندفاع فجائي للهروب... للابتعاد

عن المستطاع عن ميردت وعن هذا المنزل وعن هذه المرأة التي كانت

يوماً شقيقة ميردت، وتطمح أن تصبح زوجته.

- يجب أن أجد دون... فقد آن لنا أن نعود إلى نورثبورت... عذراً.

توجهت إلى الأبواب الزجاجية فقالت لها جوليا:

- اعتقد أنني سأراك مرة أخرى خلال التمارين للحفلة... لقد وافق

دون على أن أحضر بعضاً منها لتكون لدي فكرة عن الحفلة المرتقبة...

لم أرهد أن أقابل الموسيقيين لعرض المقابلات خلال فترات الاستراحة

من الوصلات.

- لكنني سأظهر فقط في الحفلة الأولى.

دخلتا إلى غرفة الجلوس معاً... وهناك ردت جوليا:

- لا بهم .. ما زلت أرغب في إجراء مقابلة معك . لماذا لن نكول
هنا طوال الصيف؟

نظرت تاي إلى ما حولها في الغرفة، فإذا بميردت جالس في مقعد
المفضل، أما دون وجاد فكانا جالسين على الأريكة المواجهة له
وشيلا على كرسي منخفض .. كان الجميع يصغون إلى دون ولكنه
صمت ما إن دخلت مع جوليا .

أعلنت تاي بصوت مرتفع ليسمعها ميردت :

- لن أكون هنا لأنني بعد الحفلة الموسيقية الأولى سأغادر
نورثبورت، إذ أريد السفر إلى كاراكاس في فنزويلا .. تقدمت
بطلب عمل في أوركسترا .. دون .. أرجوك .. أيمكننا الذهاب الآن؟
وعدت كينان بالعودة إلى المنزل قبل الساعة السادسة لأستطيع
مساعدها .

قال كليف بورداي الذي ظهر بباب الردهة :

- آن وقت ذهابتنا كذلك جوليا، كنت أبحث عنك .

ردت جوليا وهي تقف قرب ميردت :

- اذهب بدوني كيف .. فأنا وميردت صديقان قديمان، وأرغب في

البقاء معه للتحادث .

وقف ميردت فجأة بحيث انتفضت يدها عن كتفه ووقعت إلى

جانبها .. وقال : «سرنى التعرف إليك دون» .

صافحه بحرارة : «وأنتما أيضاً جاد .. شيلا» .

وصافحهما .. أما تاي فالتفت إليها قائلاً :

- وداعاً .

لكنه لم يمد لها يده .

همست : «وداعاً» .

ارتدت عنه وخرجت قبل الآخرين من الغرفة إلى الردهة وبذلك
أر كوه بمفرده مع جوليا غرين .

٦ - الحب والموسيقى

صاحت كينان وهي تدخل إلى غرفة نوم تاي:
- رسالة لك!

وكان هذا بعد عشرة أيام.

كانت تاي جالسة إلى متصلة الكتابة الصغيرة أمام النافذة، لكنها لم تكن تكتب بل كانت تنظف الكلارنيت تحضيراً لآخر تمرين قبل الحفلة التي ستجري في منزل لايتون في أمسية اليوم التالي في اليوم الأول من شهر حزيران.

- آه.. عظيم! أمل أن تكون رداً على ذلك الطلب المقدم إلى الأوركسترا في فنزويلا.

- لا.. ليست كذلك. إنها من برنابي كورنر.

وضعت الرسالة على الطاولة: «هل كنت تراسلينه؟»

- أرسلت إليه رسالة قبل مجيئي إلى هنا ليعرف إلى أين يرأسني إن أراد.. على أي حال ما زلنا صديقين.

ردت كينان ساخرة:

- بالتأكيد.. ألن تفتحها وتقرأها؟

- وأنت هنا؟

- صبح.. أريد أن أعرف كيف هي الحياة في بلاده.

- هل أنت واثقة أنني لم أتلق رسالة أخرى؟

- كل الثقة. أنت حقاً ملهوفة للحصول على عمل.

- بالتأكيد.. لن أستطيع البقاء هنا إلى الأبد عائلة عليك.

- لن تكوني عائلة.. ومن الأفضل أن تصدقي هذا لأنني سأجعلك

لعملين كثيراً.. فسأكون في هذا الصيف كثيرة الانشغال نظراً

للحجوزات التي وصلتني حتى الآن.. ولسوف أضطر إلى استئجار من

يساعدني إذا رحلت أنت.. لماذا لا تبقيين حتى نهاية شهر آب على

الأقل؟ أنت الآن عضو في الفرقة الموسيقية، سيكون لديك الكثير من

الفرص للعزف.. ولا داعي أن تكوني في أوركسترا كبيرة.. هذا أكثر

حرية لك، وتعبير أكبر عن الذات.

- أنت على حق.. وأحب هذا.. لكن يجب أن أعيش.

جذبت أطراف المغلف السمكة لتفتح ورقة بريد جوي رقيقة من

المغلف.. بدا وكأن برنابي كتب لها كتاباً..

ردت كينان: «قلت لك إن بإمكانك أن تعملني هنا وتعيشي».

- وقلت للصيف فقط.. ولن نرغب في هنا في الشتاء حين يخف

ضغط العمل عندك، لن تستطيعي تحمل وجودي.

- بل أستطيع.. يجب أن أوظف أحداً ليساعدني، فأنا أترك المنزل

مفتوحاً في الشتاء فلماذا لا أوظف أختي؟

هزت تاي رأسها: لا.. هذا لطف منك كينان.. لكنني لا أستطيع

البقاء هنا. يجب أن أذهب بسرعة.. في الأسبوع القادم إذا أمكن.

فتحت تاي الرسالة على الصفحة الأولى.. أما كينان فظلت جالسة

على حافة السرير تراقب وجه تاي وهي تقرأ الرسالة وتراقب تعابير

وجهها التي يغلب عليها التسلبية والسخرية.

بعد قليل قالت: «حسناً.. ماذا يقول؟»

- إنه يحب الإقامة هناك.. يعجبه الطقس والعمل في الأوركسترا

وأن يكون مع أبناء وطنه . يا الله ! يريد مني أن أذهب إلى هناك !

- لتعزفي في الأوركسترا؟

- لا أظن هذا . يقول إنه يفتقد إليّ وإنه ندم على انفصاله عني .

- مع ذلك ، لا يعرض الزواج بك؟

- لا . لن يطلب مني الزواج أبداً . إلا إذا غيرت ديني .

- وهل تقبلين بتغييره؟

- آه ! أبداً . آه ! برنابي . لقد تأخرت كثيراً . تأخرت كثيراً .

- ماذا تقصدين بأنه تأخر؟

- لم أعد أحبه . .

- دست الرسالة في الغلاف .

- ارتفع حاجبا كينان بسخريه .

- حقاً؟ إذن لماذا لا تبدلين أفضل حالاً؟ لماذا لا يزداد وزنك؟

- ولماذا أنت متوترة؟ أنت أسوأ حالاً عما وصلت .

- شغلت بالي أمور كثيرة . . التمرين للحفلة . . التمرين مع دون

أمر غير سهل . . تعرفين هذا . إنه يجب الكمال والواقع أنني ملهولة

للحصول على عمل في أوركسترا كبيرة ، المنافسة كبيرة . . كبيرة

جداً . . والفرق الموسيقية تعاني بسبب الخسائر المادية وبسبب عدم

دعمها من الحكومة .

- هذه أسباب أخرى يجب أن تدفعك للتفكير بالبقاء هنا لتكسبي

عيشك من العمل عندي وفي العزف في فرقة نورثورت . . من يدري

فقد تنجح هذه السلسلة من الحفلات ، فيطالبها الجمهور بالمزيد من

الحفلات . وقد يتمكن جاد باشيمو من تأسيس مدرسة الموسيقى

الصغيرة حيث يمكنك التعليم فيها . متى قلت إن تلك المرأة قادمة

لإجراء المقابلة معك؟

- في الحادية عشرة .

- حسناً . . أظن الوقت ، لذا أقترح عليك البدء بتجميل نفسك . لا

الملك ترغيبين في إجراء المقابلة وشعرك أشعث كالمجانين .

هبت تاي واقفة وصاحت :

- لا . لا أريد . ماذا سأرتدي؟ أوه . . ماذا سأرتدي؟ ساعديني

لهنأ!

- فتحت الخزانة : ما ترتدينه عادة للتمرين . . لماذا لا ترتدين ذلك

السروال الأسود والبلوزة الفضفاضة! . . تلك القرمزية . اللون الأحمر

لهل بك ، واجمعي شعرك فوق رأسك لتظهري عنقك . . وتبرجي بكثرة

للخطوط تحت عينيك ، حباً بالله ! أنت لم تنامي جيداً مؤخراً . .

أليس كذلك؟

- لا . . حقاً .

- خلعت روبيها ودست السروال الأسود . .

- أضافت كينان : لا أظن أن سبب أرقك هو الحفلة الموسيقية فقط أو

الفتيش عن العمل . . بل رجل . . وإن لم يكن برنابي فهو قطعاً ميردت

لايتون ! فأنت نادمة على رفضك إياه . .

- تمتعت تاي وهي تتناول البلوزة الحمراء :

- لا . . ليس الأمر كما تقولين . . آه ! لا أدري كيف . . لا أستطيع

التوقف عن التفكير فيه . . عندما لا أكون مشغولة . . لا يفارق خيالي . .

وأجدني غير قادرة على تنفيذ ما طلبه مني . .

- وماذا طلب منك؟

- طلب مني أن أنسى أنه طلب يدي . . و . .

- ارتجفت شفتا تاي وهي تنظر إلى أصابعها التي كانت تزور

بلوزتها . . ثم أضافت هامة :

- قال لي: «ابقي بعيدة عني» ولقد بقيت بعيدة. ولكنني.. لم أستطع نسيانه، ولن أنسى ما دمت باقية هنا.

رفعت تاي عينيها السوداوين اللتين ملوهما العذاب:

- أنفهمين الآن لماذا عليّ الرحيل بعد الحفلة؟

- أجل.. فهمت الآن.. ألم أحذرك.. آه! تاي ماذا أفعل بك؟ لا

يمكنك المضي على هذا النحو.. لا يمكنك الوقوع في الحب والخروج منه طوال الوقت مع رجال غير مناسبين لك.. يجب أن تحاولي ضبط مشاعرك بطريقة ما.

- إذن ربما يجب أن أنخرط في دير لأنه المكان الوحيد الذي لن أرى فيه رجلاً.. وآخر مكان في العالم قد أرى فيه أمثال ميردت لايتون!

بعد عشر دقائق من هذا، دخلت صالون الفندق فوجدت جوليا غرين وكايف نورداي يحضران الكاميرا والأضواء لتصوير المقابلة. منذ لقائهما الأول بجوليا في منزل ميردت تنالت المرات التي عادت فالتقت بها ولكنهما لم تنفردا البتة.. كانت المخرجة التلفزيونية مرتدية بذة من التويد الفاخر العاجي اللون وبلوزة ضيقة وسترة قصيرة واسعة تحتها بلوزة حريرية بلون التويد.. وكالعادة ربطت حول عنقها منديلاً ملوناً.. وبدت كما هي.. امرأة كفؤة نشيطة، مسيطرة على الموقف سيطرة كاملة.

- سنتحدث مدة عشرين دقيقة.. بعد ذلك سأنسق المقابلة وأخذ منها ما أظنه مناسباً مع المقابلات الأخرى التي صورتها مع دون وجاد، وشيلا وكرايف.. أريد منك أن تجلسي على هذه الأريكة لتكوني لوحة المركب المبحر خلفك.. وسأجلس هنا إلى جانبك.. هل سبق أن أجرى أحدهم معك مقابلة تلفزيونية؟

جلست تاي في زاوية الأريكة الوردية وأجابت: «لا».

- إذن استرخي وحاولي أن تكوني على سجيتك قدر المستطاع.

تقدم كليف فوضع الميكروفون الصغير في ياقة بلوزتها وفي هذا الوقت راحت جوليا تثبت الميكروفون على سترتها.

- أولاً سأسألك لماذا اخترت العزف على الكلارنيت.. ثم لماذا جئت إلى نورثبورت للاشتراك مع الفرقة.. أخيراً ما هي مشاعرك عن القطعة الموسيقية التي ستعريفها.. أجيبي وكأنك تتحدثين إلى شخص تعرفينه وانطلقني على سجيتك. كلما أطلت الإجابة كان ذلك أفضل لك.. فهمت؟

- أجل.. هل أنظر إلى الكاميرا؟

- لا.. بل أنظري إلي.. فالكاميرا ستكون في مواجهتك على أي حال وهي ستصوّر كل تعابير وجهك.. وبما أن لدينا كاميرا واحدة فقط سنضطر إلى تصوير القسم الخاص بي من المقابلة وأنا أسألك، كي يصور كليف وجهي وأنا أنكلم.. وبعد ذلك نجتمع القسمين في الاستديو.. جاهزة للبدء؟

شعت أنوار التصوير حارة وانصبت مباشرة على وجه تاي لتوحي بأن الجو مشمس مع أن الواقع أن السماء ممطرة والغيوم قاتمة. ما إن أجابت عن أسئلة جوليا المتعلقة بسبب اختيارها مهنة العزف حتى وجدت أن من السهل الإجابة عن السؤال التالي المتعلق بسبب وجودها في نورثبورت، وكيف التقت بدون والأعضاء الآخرين في الفرقة.. لكنها لم تكن مستعدة للسؤال الآخر.

طاقت عينا جوليا بلوّم وهي تبتسم وتقول:

- قبل لي إن الفضل عائد إليك لحصول الفرقة على الإذن بإقامة الحفلة في غرفة موسيقى جميلة يعود طرازها إلى القرن الثامن عشر، في

منزل لايتون. كما قبل لي إنك صديقة مقربة من صاحبها، ميردت لايتون. . . فهل هذا صحيح؟

ردت تاي بحذر: «أجل. . . التقت السيد لايتون». لكنها لم تستطع منع الاحمرار من غزو وجنتيها بسرعة، ومن التواء يديها في حضنها.

ارتفع حاجبا جوليا باستهزاء:
- مرة فقط؟

- لا. . . التقينا أكثر من مرة.

فجأة فقدت أعصابها:

- اسمعي. . . لا أفهم ما شأن هذا السؤال بالمقابلة. . . خلثك تريدني معرفة ما هو شعوري نحو. . . نحو الموسيقى وليس ما هو شعوري نحو. . .

أضافت جوليا بسخرية: «نحو ميردت؟»

صاحت تاي: «لا علاقة لي به».

ارتدت إلى كليف بورداي: «أما زلت تصوّر؟»

أجاب من وراء الكاميرا: «بالتأكيد».

- إذن لن أبقى أكثر ولن أضيف كلمة أخرى!

وقفت بحدّة، ولكنها وجدت أنها مربوطة بشريط الميكروفون الموصل بها. انتزعت الأداة الصغيرة ورمتها على الأرض.

- وإن تجرأت على عرض أي جزء من المقابلة، فسأقيم دعوى عليك!

قالت المخرجة: «إذن. . . هذا صحيح».

- ما هو الصحيح؟

- أنك وميردت على علاقة.

رفعت المخرجة رأسها فجأة فارتدت تاي إلى الوراء مجفلة بسبب العداء المشع في عينيها الخضراوين. . .

قال كليف بعدما أطفأ الأنوار والكاميرا.

- اسمع. . . إن كنتما ستقتلان، فسأخرج لأدخن سيكارة.

وخرج من الغرفة إلى الردهة. فوقفت جوليا برقة لتواجه تاي الممتعة الوجه.

همست: «ماذا فعلت به؟ ماذا فعلت بميردت؟»

- أنا. . . أنا. . . لم أفعل شيئاً له. ولا أعرف ما تعنين.

- آه! هيا الآن. . . لا تلعي دور البراءة. . . لقد أثرت فيه بطريقة ما. . .

وسخرت منه. . . وقلت له إن عماء الجزئي جعله مجنوناً، وأشارت إلى أنه شخص غير طبيعي.

انفضت تاي فلاحظت جوليا انتفاضتها. ضاقت عيناها أكثر، والتوى فمها:

- إذن، هي أنت؟ حسناً. . . آمل أن يساعدك ضميرك على تحمل

العيب.

صاحت تاي: «أي عيب. . .؟ رجاء هلاً تكلمت بوضوح؟ هلاً

لوقفت عن الغموض؟ هل أصاب ميردت شيء؟»

تذكرت فجأة أن ميردت قال أمامها يوماً إنه مستعد لقتل نفسه. لجة أصبح وجهها أبيض شاحباً بعدما كان أحمر قاتماً.

- إنه لم. . . لم. . .

صمتت لأن حنجرتها أطبقت، وشفتاها جفتا.

قالت جوليا: «أجل. . . قرر المضي في العملية الجراحية».

شهقت تاي واصطكت ركبتيها:

- أية. . . أية عملية؟

صاحت جوليا بوجه عابس :

- ألا تعرفين؟ ألم يخبرك؟

- لا.. لم يخبرني شيئاً عن عملية جراحية.. بل حدثني فقط عما سبب له عُمى جزئياً.. قلت لك.. إننا التقينا ثلاث مرات فقط.. نحن لا نعرف بعضنا بعضاً بشكل جيد.. أي نوع من الجراحات؟ وماذا ستفعل له؟

- عملية دقيقة جداً لإزالة الضغط الذي سبب هذا العمى.. جراحة نسبة نجاحها تتراوح بين الأربعين والسبعين بالمئة فقط.. إذن نسبة بقاء ميردت حياً بعد العملية هي ستون بالمئة.. ارتجافة واحدة من يد الجراح ويتضرر الدماغ كلياً، أو يموت.. اقترحت عليه إجراء الجراحة مرتين، ولكنه رفض في المراتين.. والآن.. فجأة.. أجده عازماً على إجرائها، لأن شخصاً ما وأظنه أنت، قال له إنه ليس طبيعياً.

صمتت جوليا التي راحت تلتقط أنفاسها، ثم مالت إلى الأمام:

- إن مات ميردت، كنت أنت السبب في موته.. عليك منعه من الذهاب إلى نيويورك.. اذهبي اليوم لرؤيته.

- لكن.. لكنه.. طلب مني البقاء بعيدة عنه.. قال إنه لا يريد رؤيتي ثانية.

قالت جوليا ببرود: «حسناً.. سأترك الأمر لك.. نهارك سعيد، آن وقت ذهابنا إلى الزوجين فايلكلاند لتصوير المقابلة مع شيلا، أراك غداً وقت الحفلة».

خرجت إلى الردهة، ثم عادت مع كليف لتساعده في تفكيك معدات التصوير وتوضييبها. أما تاي فتركت الغرفة وتوجهت إلى غرفتها لتلوذ إليها وتفكر في ما قالته جوليا.. هناك طريقة واحدة فقط لتعرف.. هي الذهاب إلى ميردت وطرح السؤال عليه.

بعد دقائق نزلت الدرج ثم أسرعَت تضع سترة واقية من المطر فوق لباسها.. كانت جوليا وكليف قد غادرا، فأُسرعَت إلى المطبخ بحثاً عن كبنان ولما رأتها سألتها بأنفاس مقطوعة:

- أرجوك، هل لي أن أستعير سيارتك؟ لن أذهب بعيداً، ولن أأغادر.

- المفاتيح في مكانها المعتاد.. كيف جرت المقابلة؟

- كانت كارثة، تشاجرت مع جوليا غرين، فتوقف كليف عن التصوير.

- شجار؟ بشأن ماذا؟

- بشأن صداقتي بميردت هذا إن كان بالإمكان تسميتها صداقة.

- أشعر بالغيرة؟

- بإمكانك تكرار هذا! أراك فيما بعد.

عبرت رائحة البنفسج المزهر حديثاً في الجو الرطب، وبدأ المنزل على قمة بيكرنغ بوينت رمادياً معزولاً.. ارتقت تاي الدرجات القليلة بسرعة.. ودقت الجرس.. كان قلبها يخفق بطريقة غريبة وكان التهور يدفعها إلى رؤية ميردت ولكنها لم تتوقف قليلاً لتفكر في التريث قبل التهور فيما لا تحمد عقباه.. يجب أن ترى ميردت بمفرده قبل أن يسافر إلى نيويورك. تعرف أن لا أمل لها في إيقافه عن إجراء العملية الجراحية، ولكن يجب أن تراه.. أن تكون معه قبل أن يسافر في حال.. ورفض تفكيرها بعنف إمكانية الموت.

انفتح الباب قليلاً، وأطلت بيلا ماك كاب.

قالت: «حسناً؟»

- جئت أرى ميردت لايتيون.

- ليس هنا.

- هل سافر؟

- لا أعرف إلى أين ذهب . لقد خرج مع جوزف في الشاحنة الصغيرة إلى مكان ما . . . إنهما يخرجان دائماً معاً .

- أتعرفين متى يعودان؟

- لا . . . لم يخبراني شيئاً ، وأنا لا أسأل . . . فانا أذكرى من أن أسأل أبا منهما .

- أذهباً برأيك إلى نيويورك؟

- قلت لك لا أعرف ، أهذا كل ما تريد به؟

وراحت تقفل ، فتمتمت ناي :

- أجل . . . أعتقد أن هذا كل شيء . . . شكراً .

أقبل الباب ، وعادت ناي ببطء تنزل الدرج خائبة الأمل قانطة .

عادت إلى النزول ، ولكنها لم تقفل لأختها أين كانت . . . بطريقة ما ، مرّت فترة الظهيرة ثم لما بلغت الساعة الرابعة توجهت إلى منزل دون من أجل التمارين النهائية .

رجبت بها ليزا ، ولكنها قالت لها بقلق :

- ناي . . . ما الأمر؟ تبدين . . . كيف أقول هذا؟ متوترة الأعصاب؟

هل أنت قلقة بسبب الحفلة الموسيقية ، ربما؟

- قليلاً .

- لكن يجب ألا تتوتري لأنك عازقة ماهرة .

- لست عازقة ماهرة بالنسبة لدون .

ابتسمت ناي لعازف الكمان وهو يخرج من الغرفة التي يتدربون فيها عادة ويرد الابتسام مرحباً .

- هذا صحيح . . . صحيح . . . لكنني لا أنتقد التقنية لأنها ممتازة . . .

بل . . . أنتقد النقص في التعبير . . . يجب أن تتعلمي الاسترخاء وترك

المجال لمشاعرك بالظهور . . . فكرت كيف يمكنني مساعدتك في هذا . . . يجب أن تفكري في هذه المعزوفة الثلاثية وكأنها قصة حب . . . لفئة زوجين غير متناسبين . . . القويلا والكلارنيت . . . أيمكنك هذا؟

قالت وقد أثار اقتراحه اهتمامها :

- سأحاول . . . إنما رجاء أخبرني المزيد .

- اسمعي إذن . . . فيما تنتظر جاد ، ستكلم أنا وأنت عبر آلاتنا وكأننا زوجان غير متناسبين . . . كما تعرفين ، الجزء الأول من الحركة الموسيقية يبدأ بعزفي للكمان بطريقة مشاكسة .

عزف اللحن بطريقة عنيفة . . . أشار اللحن العنيف إلى شخص بشخص ساخراً بشكل مستفز . . . بالطريقة التي سخر منها ميردت حين التقيا أول مرة . . .

قال دون :

- هذا هو بطلنا . . . الكمان يعبر عن حبه . . . إنه شخص عنيف فاس . . . ما يسمى اليوم بالمغرور . الآن أنت ، على الكلارنيت ، بطلتنا ، اعزفي اللحن عينه . إنما بحنان أكبر لأنك أنثى . . . هيا . . . اعزفي وضعي لي ذهنك أنه يعجبك وأنت تريدين معرفته أكثر .

رفعت ناي الكلارنيت من علبتها . . . ثم بللت لسان الآلة بشفتيها ، وبدأت بالعزف . . . تصاعدت النغمات في الهواء بوضوح وصفاء كتغريد الطيور وراحت تتذكر ما شعرت به عندما قابلت ميردت في منزله . . . وكيف حاولت أن تتملقه . . . وكبرت الذكرى ، وتغيرت أنغام الكلارنيت وأصبحت دافئة مثيرة وعندما وصلت إلى نهاية النغم توقفت لتلتقط أنفاسها فصفق دون يديه ابتهاجاً .

- هذه هي . . . هذه هي ! الآن أعرف أنك مررت بتجربة . . . الآن لم لعودي تعزفين كإنسان لا جنس له . . . يجب دائماً أن تضعي خبرتك في

الحياة في عزفك .. إذن .. فلننتقل إلى الحركة الثانية، الأخف ظلاً ..
مع أن فيها لحظات جادة، وفيها تنهّد الكلاريت لتبدي توسلها
وشوقها .. ولكنها ستلقى رداً سيئاً من الكمان .. عليك أن تفهمي أن
ذلك أشبه بقصة حب .. تقدم وتراجع .. عرض ورفض ..
تمتت تاي: «أجل .. أفهم .. لكن كيف ستنهي .. قصة الحب
هذه؟»

- في الحركة الأخيرة .. كما تعرفين .. تحصل الكلاريت على
فخرها بنشئين رائعتين .. الأنثى تعبر للمرة الأولى والأخيرة عن جها
ثم يتشاجر الرفيقان غير المتناسبين عندما يرفض بطلنا الكمان،
الاعتراف بأن الحب غلبه .. ثم وأخيراً، يتم التغلب على كل
المعارضة، وتسير الكمان والكلاريت معاً، بطلنا وبطلتنا، في انسجام
كامل.

- النهاية السعيدة؟

- النهاية السعيدة .. أرجو أن تتذكري هذا وأنت تعرفين ..

- سأحاول ..

ثم سألت بسرعة: «دون .. ذهبت إلى منزل ميردت لايتون هذا
الأسبوع .. أليس كذلك؟»

- مرتين .. لأضع مع جوليا غرين ترتيبات الغرفة للحفلة .. لماذا
تسألين؟

- هل كان ميردت هناك؟ هل رأيته؟

- نعم رأيته في المرة الأولى وأذكر أنه قدّم لنا نصيحة، أما البارحة
فلم أره ..

- هل تعرف ما إذا كان سيحضر الحفلة غداً؟

- لا .. لا أعرف هذا .. لكن الزوجين ماك كاب سيكونان هناك لفتح

الأبواب لنا .. وسيكون أفراد من جمعية الموسيقى والفنون هناك
للمساعدة، ولإرشاد الناس إلى مقاعدهم وللتأكد من عدم دخول أحد
إلى سائر أرجاء المنزل .. ها قد وصل جاد .. فلنبدأ .. تذكرني تاي ..
وأنت تعرفين .. أنت امرأة واقعة في الحب ..

لم يكن من الصعب عليها أن تتذكر لأنها فعلاً امرأة واقعة في
الحب .. بدأت الموسيقى الآن تروي قصتها مع ميردت .. ولكن النهاية
بدت بعيدة عن منالها .. وكانت تفكر في هذا بكل حزن وهي تعزف آخر
الألحان يتناغم مع دون .. رحل ميردت ولن تراه مرة أخرى ..

بعد التمرين هناها دون وجاد معاً، واتفقا على الذهاب بعد ظهر
الغد إلى المنزل للتأكد من جهوزية الفرقة .. أوصل جاد تاي إلى المنزل
حيث وجدت كينان في المطبخ تحضر العشاء للزيائن القلائل عندها،
وكان شاركي سوير جالساً على الطاولة قرب النافذة يراقبها وهي
لتحرك، وعلى وجهه وعينيه تعابير الحب والحنان ..

لا نهاية سعيدة له ولكينان أيضاً .. فكرت تاي في هذا وهي ترتقي
الدرج وصولاً إلى غرفتها ..

أه! لماذا طريق الحب الحقيقي غير سهل دائماً؟ لماذا العراقيل دائماً
في الطريق؟

استلقت في فراشها عاجزة عن النوم، تراقب القمر يتسلل من خلف
اللبوم وتصفي إلى ثلاثة موزارت التي تضج في رأسها، إلى نغمة
الكمان الضاجة، وإلى الكلاريت الصافية متشوقة .. زوجان غير
متناسبين ..

إنها وميردت غير متناسبين .. ولهذا اصطدما منذ لحظة
التقائهما .. كان فظاً قاسياً، يحب العيش في ظل المخاطرة، يسافر إلى
بلدان تمزقها الحروب، يلتقط أفلام العنف .. وهي مندودة حساسة إلى

أقصى الدرجات، تغمض عينيها أمام العنف في العالم وتدير ظهرها له.. تهرب من الواقع إلى جمال الموسيقى. ليس هناك بينها وبينه شيء مشترك.. لا شيء.

إذن.. لماذا هذا التجاذب القوي بينهما؟ لماذا هي ضائعة لأنه سيجري العملية التي قد تؤدي به إلى حتفه؟ هل لأنه ما كان ليجرها لولا كلماتها القاسية؟ أين هو الآن؟ أهو في غرفة مستشفى؟ أم تحت تأثير المخدر يتم استعداداً للعملية الجراحية؟

لا.. غداً يوم الأحد.. ونادراً ما تجرى الجراحات أيام الأحاد إلا في حالات طارئة.. إذن ستجري يوم الاثنين. آه! يا الله! ليتها تعرف متى وأين؟ لا جدوى من طرح السؤال على بيلا ماك كاج، لكن جوزف قد يخبرها.. وما أن تعرف حتى تهرع لتكون معه عندما يجري العملية.. ولتكون هناك حينما يستيقظ من غيبوبته، ولتكون هناك عندما.. أجبرت نفسها على مواجهة الحقيقة مرة أخرى.. ساعة موته..

نامت تلك الليلة أكثر مما نامت في الليلة السابقة، وفي أية ليلة منذ طلب منها الابتعاد عنه.. وكأنما اعترافها بحبه جعل بالها يستريح أخيراً. استيقظت منتعشة في الصباح وفيما كانت ترتدي ثيابها أعدت قراءة رسالة برنابي.. ثم طوتها مجدداً ودستها في الغلاف ونظرت من النافذة إلى أشعة شمس الصباح المتسللة من بين أوراق الشجر.. كان هناك عصفور يغرد بدا لها وكأنه يقول: «تأخرت كثيراً.. برنابي.. تأخرت كثيراً، برنابي» فتحت درج المتضدة، ورمت الرسالة فيها.. في يوم ما سترد عليها.. أما الآن.. فلديها الكثير مما يشغل بالها. لديها ميردت.

حاولت أن تهون على نفسها ذلك اليوم وأبعدت أفكارها عن

الحفلة الموسيقية.. في الصباح ساعدت كينان في تحضير غداء الأحد المبكر العادي، وساعدت كذلك في خدمة الطاولات وفي تنظيفها.. بعد ذلك جلست في الحديقة للاستمتاع بأشعة الشمس.. وبعد ذلك ظهرت ملابسها وارتدت فستاناً أبيض وأزرق، قماشه من الكريب دوئين الحريري وهو ما اختارته للحفلة الموسيقية، ثم رفعت شعرها إلى فوق وعقصته في أعلى رأسها.. وزينت وجهها، وارتدت معطفها وحملت الكلازينت وجلست في صالة الفندق بانتظار دون الذي سيقبلها.. وكانت كينان التي ستقدم الطعام والشراب في حفل الاستقبال الذي سيقام هناك بعد الحفلة الموسيقية، ستذهب إلى هناك مع مرغو الساقية المنتظمة.. ومع شاركي سوبر بالتأكد.

تركت ناي دون وليزا يدخلان قبلها إلى غرفة الحفلة.. وما إن ابتعدا عن السمع حتى ارتدت إلى جوزف الذي كان يقفل الباب الأمامي، وهمست:

- هل ميردت.. أعني السيد لايتون.. بخير؟
- بكل تأكيد سيدتي.. ولماذا لا يكون بخير؟
- إنه.. أخبرني أحدهم أنه سيسافر من أجل... الدخول إلى المستشفى، وأريد أن أعرف ما إذا سافر.

ضاقت عينا جوزف الزرقاوان، وقال بلهجة مراوغة:

- ومن أخبرك بهذا؟

- لا يهم من.. هل سافر أم لا؟

- حسناً.. إنه غير موجود هنا.

- أين هو إذن؟

- لا أعرف سيدتي.. هل ستعزفين مع الفرقة الليلة؟

- أجل.. آه جوزف، أرجوك أخبرني بمكانه!

رد بصوت جاف: «ليس لي ملء الحرية لأخبرك.. سينزعج
ميردت إن أجبت عن سؤالك.. والآن أعذريني يجب أن أساعد بيلا في
وضع كؤوس الشراب على الصواني.
تمتعت ناي عندما ارتد على عقبيه:
- آه! اللعنة!

ضربت قدمها في الأرض.. لكنه لم يلتفت إليها أو يتوقف، بل
تابع طريقه رأساً إلى المطبخ.
نظرت إلى يمينها فرأت باب الغرفة التي نامت فيها مفتوحاً.. دنت
منها لتتظر إلى الداخل، فإذا الغرفة متغيرة.. لم تعد غرفة نوم، بل
أصبحت مكتبة فيها منضدة كبيرة ورفوف كتب وكراسي مريحة.. في
إحدى الزوايا طاولة طويلة مغطاة بقماش أبيض. وسط الطاولة باقة
زهور ريفية. هنا سيقام حفل الاستقبال إذن؟ لم يعد أحد بحاجة إليها
كغرفة نوم.. لأنه لم يعد هنا. لقد رحل.. ولكن إلى أين؟
في الساعتين التاليتين لم يكن لتاي الوقت لتفكر في مكان
تواجهه.. لأنها انشغلت كثيراً بالتدريبات. ثم تناولت عشاء سريعاً
قدمته كينان. سبداً الحفلة في السابعة والنصف.. في السادسة
والنصف وصل كليف نورداي ومعه مصور آخر ولكن جوليا لم تكن
معهما.

قال كليف: «لا تعرف أين هي. اتصلت بها في شقتها طوال اليوم
فلم تتلق جواباً، ولم تأت أيضاً إلى الاستديو.. لكننا قادران على
التصوير بدونها».

إنها إذن مع ميردت.. أعرف أنها معه.. وشعرت ناي بموجة غير
تثير الغشيان.. لقد سافرا معاً.. عادا إلى نيويورك.. فهل أقنعته بعدم
إجراء الجراحة وهل أقنعته بمغادرة نورثبورت.. آه! لماذا أضيع وقتي

بالفكير فيه؟ ألم يوضح بما لا يقبل الشك أنه لا يريدني وقد حدث هذا
منذ عادت إلى حياته! فلماذا لا أفعل ما قاله لي؟ لماذا لا أنساه؟

في السابعة بدأ الجمهور بالوصول.. في سماء المغرب كانت
الشمس أشبه بكرة ذهبية فوق تلال قرمزية ترتفع في سماء زرقاء..
الهواء دافئ، ناعم، عابق برائحة البنفسج وبرائحة البحر.. أما رذة
المنزلة القديم المكسوة بالخشب فكانت تلمع وكأنها ترحب بالغرباء
الوافدين.. وسرعان ما عجت الغرفة الواسعة بالناس.

في الغرفة التي سيقام فيها الاستقبال، كانت كينان تعد الكؤوس
التي حضرها لها جوزف وبيلا.

سألت: «هل هو هنا؟»

- من هو هنا؟

- ميردت لا يتبون طبعاً.. أحب أن أقابله.

- لا.. ليس هنا.. لقد سافر.. وأظنه رحل معها.

- مع من؟

- جوليا غرين.. مخرجة البرنامج. إنها المرأة التي عاشت معه قبل

الميلاد.. المرأة التي رأيتها في القرية خلال الشتاء..

ارتدت عينا كينان دهشة:

- حقاً؟ إنه لأمر مؤسف لأنه لن يسمعك وأنت تعزفين.. أعني..

هذا أقل ما يجب أن يفعله.

تمتعت ناي: «وأنا أظن هذا أيضاً».

بدأت الحفلة الموسيقية في وقتها المحدد. في البدء عزف دون
سيمفونية براهامز، ثم جلس ليعزف أصوات كمانين فيولا وتشيلو،
أحياناً تملوان بحدّة وتنافر، وأحياناً تخرجان بتناغم جميل، وأحياناً
يبدو مستوحدة وكأنها تحدث بعضها بعضاً. جلس الجمهور صامتاً

مستمراً . في الخارج وعبر الأبواب الزجاجية تطاولت الظلال فوق
المرجة لأن قرص الشمس غرق وراء التلال . وطال الشفق رمادها
بتفسجياً، ثم حلّ الظلام . وحدها أنوار التلفزيون المشعة كانت
مبهمة، وموجهة على الموسيقيين . أما سائر الفرقة، فكانت في ظلال
وعتمة .

أنهى سيمفونية براهمز بنغمات انتصار، وسادت لحظة صمت، ثم
تصاعد التصفيق فأنحنى دون .

سأل دون تاي : «هل أنت جاهزة؟»
- أجل . . . جاهزة . لكن ألا تريد وجاد شيئاً تشربانه قبل العزف
مجدداً؟ أرى أنكما تشعران بالحر .
- السبب أنوار التصوير .

قال جاد : أنا مسرور لأنها أسمية رائعة، فنحن قادرون على فتح
الأبواب . . . أعتقد أن الماء البارد هو الشراب الملائم .

عادوا إلى الفرقة وتاي معهما . . عندئذ حياهم الحضور بمزيد من
التصفيق . . بدأت الموسيقى وبدأ الكمان بعزف المقطع الأول . . عندئذ
تذكرت تاي ما قاله لها دون في اليوم السابق، وتصورت أن ميردت
أمامها بزمجر في وجهها ويشتم، ساعة اصطدمت به في باي ستريت .
فرفعت الكلارنيت إلى شفيتها لترد له النغمات ذاتها بكثير من المشاعر .
كانت حركتها ثابتة . . فقد تصورت أنها تتجادل مع ميردت،
وعزفت وكأنه معها في الغرفة . . ثم جاءت الوصلة ما بين الحركة الثانية
والثالثة . فتذكرت ما قاله دون عن النهاية السعيدة . . وتساءلت كيف
ستعزف اللحن بسعادة وهي تعلم علم اليقين أن لا أمل أمامها بنهاية
سعيدة .

نظرت إلى الجمهور الجالس في العتمة، وإلى وجوههم البيضاء .

من فوق الرؤوس، نظرت إلى نهاية الغرفة وعندئذ صدمت صدمة
لوية . . توجهت أنظارها إلى أحد الأبواب الزجاجية المفتوحة . . كان
هناك رجل واقف في الباب . . رجل طويل يرتدي نظارة سوداء .
همس دون : «تاي . . . جاهزة؟»

أدركت أنها لم تعي إشارته التي تشير إليها بالبدء بالعزف . .
جمعت شتات نفسها، وهزت رأسها ورفعت الكلارنيت ثم ضغطت
الصفارة على شفتها السفلى، ونفخت برقة . . ميردت هنا يصغي
إليها . . خرجت النغمات الذهبية ممثلة، رخيمة .

نظرت مرتين يحذر نحو الباب وحدقت للحظة إلى الطيف الواقف
في الظل لتطمئن بأنها لا تتخيل أنه موجود . . ولكن عندما انتهت
المعزوفة وارتفع التصفيق، نظرت مرة أخرى فلم تجده .

لاقت المعزوفة نجاحاً منقطع النظير، فقد اضطروا ثلاثتهم إلى
الانحناء ثلاث مرات . . فيما بعد، خلال حفل الاستقبال تلقت العديد
من التهاني ولكنها ظلت تركز اهتمامها على الباب علّها ترى ميردت
لانية لكنه لم يظهر .

لا شك أنه الآن في مكان ما من المنزل . . ليتها تستطيع ترك الحفلة
لفنش عنه! لكنها لن تستطيع لأن جوزف وبيلا لن يسمحا لأحد
بالدخول إلى الطابق العلوي أو إلى مؤخرة المنزل . . يجب أن تبقى
وتشرب المرطبات، وتقضم سندويشات الجبن، وتبادل الأحاديث
المهذبة مع أناس لا تعرفهم .

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة حين غادر آخر شخص من
الجمهور وعندها فقط تمكن الموسيقيون من المغادرة وعندما عرض
دون عليها أن يقلها رفضت واعتذرت قائلة إنها عائدة مع كينان . . ولكن
عندما توجهت إلى سيارة كينان التفتت إلى وراء نحو المنزل . . فإذا

النور ما يزال يتسلل من الردهة عبر الباب الأمامي المفتوح . وإذا ضوء
دافئ أصفر يشع من النافذة في الطابق العلوي .
همست : « كينان تعالي إلى هنا » .

ابتعدت عن السيارة . . فلحقت بها كينان حتى ابتعدنا عن مرمى
السمع .

أشارت تاي إلى النافذة المضاءة :

- انظري . . مبردت هناك . . أعرف هذا . . رأيته في الغرفة عندما
كنت أعزف . . كان واقفاً بأحد أبواب الشرفة . . إنه فوق الآن . .
سأذهب لأراه .

قالت لها كينان بهدوء : « إذن سأنتظرك فلا تتأخري » .

- حسناً لن أتأخر . .

سارت تاي بهدوء قدر المستطاع ثم ارتقت الدرج ، ودخلت إلى
المنزل .

٧ - إذا مات . . .

ما إن خطت إلى الردهة حتى سمعت تاي أصواتاً . كان جوزف
وبيللا يمدمان لبعضهما بعضاً وهما يسيران في الممر في طريقهما إلى
المكتبة ، فوقفت وراء الباب المفتوح .

اقتربت الأصوات ووقع الأقدام ثم انطفأ النور في الردهة ، وأقبل
أحدهما باب المكتبة . ولولا نور القمر المتسلل من النافذة لغمر تاي
الظلام . . أقفل الباب الأمامي وابتعد وقع الأقدام نزولاً على الدرج
الخارجي . . بعد دقائق قليلة تناهى إليها صوت هدير محرك شاحنة
جوزف . . ثم أخذ صوتها ينخفض لأنها ابتعدت عن الطريق الداخلية . .
وما هي إلا لحظات حتى عم الهدوء . .

تحركت تاي بحذر وتوجهت إلى الباب الذي أمسكت قبضته
وأدارته وفتحت الباب . . كانت الردهة مظلمة ولكنها سرعان ما وجدت
زر الإنارة . . ارتقت السلم ، وقلبها بضج إثارة . . وصلت إلى الردهة
العليا المظلمة . . من تحت أحد الأبواب إلى اليمين في مقدمة المنزل ،
شعاع رفيع نوره أصفر ، توجهت إليه مباشرة . . طرقت طرقة خفيفاً على
الخشب وفتحت الباب بدون أن تنتظر الرد .

امتد النور على طول السرير العريض ولكنها لم تجده في سريره بل
وجدته واقفاً إلى جانب السرير وظهره لها ، كان يقلب أغطية الفراش ،
وبدا أنه لم يسمعها .

قالت: «ميردت».

انتفض أولاً ثم تشنج.. ولكنه ما لبث أن رمى الغطاء من يده وارتفع رأسه إلى الوراء.. وأطلق لعنة قاسية ثم ارتد ليواجهها.. لم يكن يضع النظارة فبدت عيناه الزرقاوان واسعتين تحدقان إلى شيء ما فوق رأسها.

قال بصوت ساخط:

- يا إلهي! أنت هنا مرة أخرى؟ ألم أطلب منك الابتعاد عني؟

- أجل.. طلبت مني ذلك.. وقد ابتعدت عنك.. لكن عندما سمعت أنك مسافر قريباً لتجري عملية جراحية وجددتني أطلب رؤيتك مجدداً.. كان عليّ أن أراك.

فجأة.. حدث شيء ما.. الحب الذي نكته له تفجر وطار ليعمرها فتركته يتدفق منها دافئاً قوياً، لا يمكن مقاومته، وكأنه مذ قادم من أعماق البحار يدفعها نحوه، وامتدت يداها إليه تتلمسانه.

ما هي إلا ثلاث خطوات حتى أصبحت قربه، يداها على صدره.

- آه ميردت.. ما أشد سروري عندما رأيته واقفاً في الباب الزجاجي ساعة الحفلة. ظننتك رحلت.. ظننت أننا لن نلتقي مرة أخرى.

غمرت مشاعرها فضغطت وجهها على عنقه.. لكنه ظل جامداً إنما للحظة لأنه ما لبث أن تأوه وتنهّد قبل أن يلقي سلاحه ويتخلى عن جميع دفاعاته.. التفت يده حول وجهها بخشونة ورفع.. رأت عيناه تحترقان بنار زرقاء.. ثم التفت ذراعه حولها برقة حارة متطلبة، فأذا بهما معاً.. فجأة ترنح كل ما حولها بجنون، وبدا أنهما يطوفان معاً.. كان عناقهما حلواً عاصفاً، ولم يعد هناك صوت سوى ضربات قلوبهما المتسارعة في نغم متوحد.

كان رأسها بدور عندما ارتد وتراجع عنها بحدة أَلَمَتها.. كأنه يرفض وجودها.. أحست بأنها فقدت دفته، وأدركت أن خطأ وقع.. انفتحت عينيها.. رآته يجلس على حافة السرير ويضع رأسه بين يديه. فالتربت منه وجلست قربه وراحت تمرر أصابعها على بشرته الحارة الرطبة قليلاً.

همست: «ميردت.. ما الأمر؟»

- ما كان يجب أن تأتي إلى هنا.. طلبت منك الابتعاد عني.. ما كان يجب أن تأتي..

ران صمت ملؤه التوتر، حدثت تاي خلاله إلى الرأس المتكبر المرتد عنها وإلى المنكبين العريضين لتحاول سبر غور الغموض الذي يلفه. ولكنها فشلت.. فهمست:

- لماذا ترفضني؟

تركت يدها رأسه فارتد إليها بحدة عابساً:

- عمّ تتحدثين بحق السماء؟

- عن الحب.. جئت إلى هنا لأعترف لك بحبي.. قبل.. أن أسافر.

- ومن قال لك إنني مسافر.. جوزف؟

- لا.. جوليا غرين، أخبرتني أنك قررت إجراء جراحة لإزالة الضغط الذي سبب لك هذا العمى الجزئي. قالت إن نسبة نجاح العملية هي أربعين بالمئة فقط.

نظر إليها مباشرة وكأنه يراها، وبدا وجهه متجهماً خطوطه قاسية.. مدت يدها ببطء فوضعتها على ساعده.. وهمست:

- هل.. هل جوليا على صواب.. ميردت؟

رد وقد ازداد عبوسه:

- إنها على صواب .. إنما لا أدري لماذا قالت لك هذا .
 - قالت لي هذا لأنها تريد أن أشعر بالذنب إن .. إن مت خلال الجراحة .. قالت إنك قررت إجراء العملية لأن شخصاً ما قال لك .. إنك لست طبيعياً .. وتصورت أن هذا الشخص هو أنا .. آه! مبردت هل هذا صحيح؟ هل قلت لها إنني من قال هذا؟
 ردد ساخطاً بصوت غاضب:
 - السافلة .. السافلة المتطفلة اللعينة!
 غطى يدها بيده وراحت أصابعه الطويلة تشد عليها لتؤلمها .
 - أجل .. قلت لها هذا .. كنا نتجادل .. أرادت أن تعرف .. آه! كانت تريد أن تفهم ما كان بيني وبينك ..
 أطلق اللعنات ..
 حثته بهدوء: إذن .. قل لي .. أنا .. أعرف أنها كانت عشيقتك .
 التفتت إليها عيناها الزرقاوان الجامدتان وقال ساخراً:
 - أحقاً كانت؟ إنه خبر جديد لي .. متى؟
 - متى .. حين تعود إلى نيويورك بعد كل مهمة . عندما جاءت إلى هنا لتكون معك قبل آخر عيد ميلاد .
 - صدقتها .. تجرأت على أن تصدقها؟
 مال إليها، كانت يده تمسك بيدها وهي على ساعده ..
 - مرة واحدة .. ومرة واحدة فقط .. ومنذ زمن قديم نسيت، عندما كنا طالبين في الجامعة أمضيت معها ليلة .. وكانت غلطة .. غلطة ندمت عليها مراراً وتكراراً .. أترين، إنها من النوع الممتلك .. مرة واحدة ثم تركتها ولكنها لم تستطع نسيان ما كان بيننا ولم تغفر لي .. ومنذ ذلك الوقت وهي تعود إلى الظهور لتحاول السيطرة عليّ عندما تظن أنها قادرة .. ظنت أنها حصلت عليّ عندما جئت إلى هنا نصف

أعمى وأكاد أفقد عقلي من الألم والإحباط .. أرادت أن تكون رفيقتي المساعدة ومرشدتي وملاكي الحارس .
 ضحك ضحكة صغيرة خالية من الشفقة:
 - وهل من شخص مناسب لهذا الدور أكثر منها؟ ما كانت تريده حقاً هو السيطرة عليّ .. كانت تسعى أيضاً وراء المال الذي ورثته .. ولم أناخر كثيراً لأعرف نواياها .. وقد فضحت نفسها عندما راحت تحثني على عدم إجراء الجراحة: لا تجرأ ميردت فقد تموت، لا نحتاج للعملية ما دمت معك .. سأكون مرشدتك ومساعدتك إن تزوجتني .
 ضحك ضحكة ساخرة:
 - شكراً لله لأن جوزف كان هنا فقد ساعدني على الخلاص منها .. وضب لها حقائبها ووضعها على الباب .. وأقلها بشاحته بعيداً من حياتي .. وظننت أنني أبعدتها للأبد ولكنني كنت مخطئاً مرة أخرى .
 التوت شفتاه بسخرية مريرة مرحة .
 - ألم تعرف أنها حظيت بعمل في التلفزيون المحلي؟
 - لا .. وإلا لما وافقت على أن يصوروا الحفلة الموسيقية هنا ..
 عندما رأيتها غضبت غضباً شديداً جعلني أنفث غضبي عليك .. فطلبت منك أن تبعدني عني .
 وضع يده على عقه:
 - اكتفيت من النساء المتسلطات المتطفلات!
 - آه! وهل تعتقد أنني متسلطة متطفلة؟
 قال بصوت منخفض:
 - قليلاً .. ولولا تسلطك لما كنت جئت إلي .

أنحنى يمانقها مداعباً . . فحاولت دفعه عنها بيديها على كتفيه .
وشهقت بأنفاس منقطعة :

- إذا كان هذا هو ظنك بي . . فدعني آه . . أرجوك مبردت دعني
أذهب . !

فجأة تغيرت طريقة مقاومتها لتتهرب منه بسبب تغير عناقها .
فاستجابت له جوارحها .

- لبتني أقدر أن أراك جيداً .
همست : « ستراني يوماً » .

أحاطت وجهه بيديها وراحت تقبل عينيه . . ثم ضمته بحنان .
سيكونان دوماً جزءاً لا يتجزأ .

لكن شيئاً ما سيقف بينهما ليفرقهما ، في القريب العاجل .
تسللت الفكرة إلى تفكير تاي .

- مبردت ؟
- همم .

- متى . . متى قررت إجراء العملية ؟
قال بعدم اكتراث :

- لست متأكداً . . ولماذا تريد أن تعرفي ؟
- أكان هذا قبل أو بعد أن قلت لك إنك . . غير طبيعي ؟

صمت لحظات . . ثم ابتعد عنها .
قال بوضوح وحزم :

- قبل هذا ، لا شأن لقراري بما قلته بل هو نتيجة جدال مؤلم مع
نفسي . . قررت في نهايته أن هذه هي حياتي ، والأفضل أن أموت بدل

أن أعيش نصف أعمى ، غير قادر على القيام بالأشياء التي أحب القيام
بها . . وهذه هي المخاطرة التي سأركبها في إجراء العملية . . فأنا لا

أعرف العيش إلا مع الأخطاء .

صمتت تاي وهي تكافح لمنع الدموع التي تفرقت في مآقيها .
- أنا سعيدة بهذا . . ومسرورة لأن قرارك غير متعلق بما قلته . . ما

كنت لأتحمل لو مت بسبب غلطة زلّ بها لساني .
مرت أصابعه بخفة على خدها تلاحق قطرات الدمع التي انسكبت .

القرب منها فعاد رأسها يدور ثم راح يلثم وجتيها حيث الدموع .
كلمها برقة : تاي . . يجب ألا تبكي من أجلي . أنا لا أستحق هذا .

صاحت : « بل تستحق . . تستحق »
عقدت ذراعيها حول عنقه تشده إليها :

- أنت لا تعرفين ما تقولين . . أنت لا تعرفين ما أنا . . حقاً .
ردت : لدي فكرة جيدة عنك ، أنت قاس وجلف . . وظالم . .

ومتعصب ضد النساء كذلك . أنت لست النوع الذي يعجبني من
الرجال . . لكنني أحبك .

- توقفي عن مداعبتي بمثل هذه الرومانسية .
أضافت وكأنه لم يتكلم : ولا أريدك أن تموت .

أجفل وتراجع ، وأمسك بمعصمها يبعد يديها عن عنقه .
- لن تطلبي مني عدم إجراء العملية من أجلك . .

- لا . . لن أطلب ذلك . . لكنني لا أريد أن تموت . . متى تذهب
إلى المستشفى ؟

- غداً في الصباح . . سيقلني جوزف إلى عيادة الجراح . . لم يبق
لدينا وقت طويل معاً .

عاد يضمها إليه بكل رقة فتذكرت أن أختها بانتظارها :
- حبيبي عليّ الذهاب الآن فأختي بانتظاري .

توقفت قليلاً ثم أضافت : ولكنني عاجزة عن الذهاب . . فانت

راحل غداً . . وهذا كثير علي . .
- لا تخافي اذهبي الآن . . ولكننا سنعود فنلتقي .
في صوته أمل كبير . . بعث الطمأنينة إلى قلبها .
تركته ولكن قلبها ظل معه . . ترى هل تراه ثانية؟ هل سيجتمع القدر
من جديد بينهما؟

عندما وصلت أمام سيارة أختها صعدت إليها صامتة .
قالت لها كينان بشوق: أخبريني ماذا حدث!
ولكن تاي كانت تشعر بالألم وهي الآن عاجزة عن التفوه بكلمة
«غداً أختاه . أيمكنك الانتظار حتى الغد؟» .
نظرت إليها كينان نظرة طويلة وكأنها تشعر بالألم الذي يسببها
عليها .

في الصباح التالي . . بعد ليلة أرقة نهضت تاي من فراشها
متأخرة . . ارتدت ملابسها ثم توجهت إلى المطبخ حيث وجدت كينان
هناك مع شاركي سويز ، كانا يحتسيان القهوة ويمسكان بأيدي بعضهما
بعضاً . . ولكن عندما شاهداها سحبا أيديهما عن الطاولة ، وبدا عليهما
الخجل والارتباك ووقف شاركي .

- أعتقد أن الوقت حان لأعود إلى العمل .
نظر إلى تاي بخجل :
- كانت حفلة موسيقية رائعة ليلة أمس . . استمتعت بها كثيراً .
لينك تبقيين هنا ، لتعزفي لنا ثانية وثالثة .
أدهشها إطرأؤه : «شكراً لك!»

نظر طويلاً إلى كينان ، وسار نحو الباب :
- أراكما فيما بعد .
بعدها أقفل الباب وراءه ، نظرت تاي إلى أختها التي بدت جملاً

هذا الصباح . . شعرها يلعب كأنه جناح غراب أسود ، وعيناها السوداوان
للسمان بغموض ، وخداها متوردان .
سألت : حدث شيء . . بينك وبين شاركي؟
ابتسمت كينان حالمة :
- أجل . . طلب مني أن أتزوجه .
- لكن . . ماذا عن . .

- لقد وصلته أخبار من محاميي . . يمكنه الحصول على الطلاق الآن
على أساس هجر زوجته له ، فقد رفضت لثلاث سنوات المضيء إلى هنا
والعيش معه ولم تحاول رؤيته . جاء ليقول لي هذا فوراً وطلب مني
الزواج بعد حصوله على الطلاق .

- وأنت . . ماذا تريد . . ؟ هل تريد الزواج به؟
- بالتأكيد! أريد الزواج ، وأريد أن أنجب أولاداً قبل أن أصبح أكبر
سناً . . وأريد أن يكون شاركي أباهم .
همست تاي وهي تعانق أختها : «أنا سعيدة من أجلك» .
قالت لها كينان : «سأحضر لك طعام الفطور» .
صبت فنجان قهوة :

- خذي هذا واجلسي إلى الطاولة . . ثم أخبريني عن ميهدت . .
- لا شك أنه رحل . . وفرصة لقائي به مجدداً ، قليلة جداً . سيجري
جراحة لإزالة الضغط الذي سبب له العمى . . وهي عملية دقيقة . .
له . . قد يموت .

ارتشفت قهوتها فلسعتها حرارتها .
- وإن لم يموت؟ إن نجحت العملية واستطاع الرؤية مجدداً؟
- سيعود إلى عمله كمصور أخبار ، سيعود إلى حياة الخطر . .
نظرت إلى الحديقة متظاهرة بعدم الاكتراث بما يخفيه القدر

لميردت . . كل الأشجار في آخر الحديقة كانت تورق . . أشجار
القبب الخضراء تتضارب مع لون القصب القضي الأخضر ولون أوراق
التفاح الحمراء :

- ألم يصل البريد؟

- أجل . . إنما لا شيء لك .

صبت كينان البيض المخفوق على الزبدة الساخنة الذائبة .

- على فكرة . . اتصل بك دون . . يريد رؤيتك في أسرع وقت
ممكناً . . إنه مستاء من تلك المرأة، غرين . يبدو أنها تركت العمل في
التلفزيون بدون سابق إنذار . ذهبت هكذا . قد لا يستمر برنامج
الحفلات الموسيقية لأنها غير موجودة لإخراج الأفلام . عجباً، لماذا
تركت؟

- لا أدري .

لن نقول شيئاً عن جوليا لأن هذا سيدخل اسم ميردت في
الحديث . . من الآن فصاعداً الحديث مع أي شخص كان، حتى كينان،
عن ميردت هو من المحرمات .

أضافت: «سأذهب إلى دون بعد إنهاء الطعام . . واثقة أن كليف
نورداي قادر على إخراج البرنامج . . وسأكون أكثر من مستعدة
لمساعدته في الإشراف» .

سارت إلى منزل دون الذي بعد حديث قصير توجه معها إلى
«بانغور» لرؤية مدير البرامج في التلفزيون المحلي، فقد كان يريد
مناقشة ما يجب فعله بشأن تصوير سلسلة الحفلات الموسيقية . وعندما
غادرا مبنى التلفزيون في الساعة الرابعة، كان لتاي وظيفة لما تبقى من
الصيف: الإخراج ومساعدة كليف نورداي في الإدارة .

علقت كينان على الخبر :

- أراهن أن دون مسرور كثيراً .

- أجل . . بالتأكيد . . فقد راح طوال طريق العودة من بانغور يصفق

بيديه ويقول: هذا رائع . . أنا سعيد . . سعيد من أجلك . . وسعيد من
أجلي . . وقد اضطرت أكثر من مرة إلى إمساك المقود عنه لئلا تنحرف
السيارة عن مسارها . . فمن يتكلم بيديه، سائق خطير!

قالت كينان مرددة:

- وأنا سعيدة من أجلك، وسعيدة من أجلي أيضاً . . سعيدة لأنك
باقية هنا طوال الصيف، وسعيدة لأنه أصبح لديك ما تفعلينه . . ما
سيبقى تفكيرك مشغولاً عن شخص محدد . . ما هو إحساسك بشأن
الوظيفة؟

تنهدت تاي: مرتبكة . . ولكنني منفعلة في الوقت ذاته . . سيكون
العمل تحدياً لي . . فهو عمل لم يسبق أن اخترته بل لم أتوقعه،
وستكون التجربة ثمينة بالتأكيد . . وإذا نجحت، سيوسع هذا خياراتي
في مسألة اختيار وظيفة في المستقبل . . لكنني ما زلت راغبة في أن
تقبلني الأوركسترا في كاراكاس .

- ومتى ستقيمون الحفلة الثانية؟ بدأ الناس يتساءلون إن كنتم
ستقيمون حفلة أخرى .

- في الأول من تموز . . ستكون أمي هنا . . أليس كذلك؟

- لست واثقة . . عندما تحدثت إليها لآخر مرة ذكرت شيئاً عن
الذهاب إلى اسكتلندة . . يبدو أن شمل عائلة ماكفرسون سيبعد ولقد
دعاها أبناء عمها لتكون هناك في شهر تموز . . وهل ستقيمون الحفلة
في المكان ذاته؟

ردت بيرود: «نأمل هذا . . هذا هو الاتفاق الذي عقده دون مع
ميردت لايتبون، ولا سبب يدعو للاعتقاد بأنه سيغير . . ولكنني أنا

ودون سنذهب في وقت لاحق هذا الأسبوع إلى المنزل للتحدث إلى جوزف ماك كاب في الأمر. . . أعتقد أن ميردت تركه في مركز المسؤولية.

- عندما كنتما في استديوهات التلفزيون في بانغور هل جرى ذكر لجوليا غرين؟

- القليل. . . شعرت بأنها لم تكن محبوبة كثيراً، وأنهم سعداء لأنها تركت العمل. . . كانوا يبحثون عن طريقة ما لطردها.

- ألم تذكر شيئاً لترك العمل؟

- قالت فقط إنها تريد العودة إلى نيويورك لأنها وجدت منطقة «ماين» ممتلئة وغير مثيرة. . . هل تريدان مساعدتي هذا المساء؟

- لا. . . شكراً. . . شيري هنا، وليس لدينا حجوزات كثيرة للعشاء.

- إذن. . . سأرد على بعض الرسائل.

- سألت كيتان بنظرة جانبية مأكرة:

- على رسالة برنابي؟

- ربما.

وصعدت السلم إلى غرفتها.

مرت الأيام بسرعة. . . أيام من طقس مختلط، شمس مشرقة وشتاء منهمر يتبادلان الأدوار. . . أيام ترقب متلهف منتظر بالنسبة لتاي، انتظاراً لأخبار ميردت، انتظاراً للذهاب إلى منزله لرؤية جوزف ماك كاب، وسؤاله ما إذا كانت العملية قد جرت أم لا. . . وإذا كانت قد جرت، هل كانت ناجحة أم لا.

لكن، لخيبة أملها الكبيرة لم يكن جوزف في المنزل عند بيكرنغ بوينت ساعة وصلت مع دون. وحدها كانت بيلا هناك. . . وفتحت الباب وتركتها بدخلان على مضض، تنظر إليهما بعينيها الرماديتين

الواسعتين المائيتين، وفيها الصغير مزوم بسخط.

قالت بطريقة الباترة:

- جوزف لم يعد بعد من بوسطن، ولا أعرف شيئاً عن استخدامكم للغرفة مجدداً. . . لو كان لي رأي، فلن تستخدموها. . . كان عملاً شاقاً لي أن أنظف المكان في المرة الماضية!

أريكت ملاحظتها دون الذي أخذ يعتذر بطريقة الخجولة حتى قاطعته تاي التي اعتادت على أسلوب بيلا الفظة في التعامل مع الناس:

- ومتى يعود جوزف؟

- يوم الاثنين. . . كما قال. . . حسب الظروف.

- أية ظروف؟

- كيف يشعر ميردت.

قال دون: «أوه. . . وهل السيد لايتون مريض. . . لم أعرف هذا!»

ردت بيلا بفضفاضة: «ليس مريضاً. . . الأمر فقط أنه سيجري عملية جراحية في رأسه. . . ليتمكن من الرؤية».

سألت تاي: «وهل أجريت له العملية؟»

- بالتأكيد. . . ولكنهم لا يعرفون النتيجة حتى الآن. . . ولهذا السبب ما يزال جوزف هناك. . . فالدّم لا يتحول إلى ماء. . . وجوزف بكل تأكيد ملتزم بميردت، ويعامله معاملة الابن لا معاملة القريب لقربيه.

تحركت نحو الباب وفتحته لهما ليخرجا:

- أعتقد أنكما لن تبقيا هنا لأن جوزف غير موجود. سأرافقكما إلى الخارج.

التفتت تاي ونظرت إلى بيلا نظرة توسل:

- رجاء، هلا طلبت من جوزف أن يتصل بي حالما يعود؟

- أتركي رقم هاتفك. . . انتظري لحظة لأحضر قلماً وورقة.

عادت وهي تحمل دفتر أوراق صغيرة وقلم . . . دوت ناي اسمها ورقم الفندق ثم أضافت بضع كلمات لجوزف: «أرجوك . . . دعني أعرف شيئاً عن ميردت» ثم بعدما شكرت بيلا لحقت بدون إلى سيارته. السبت . . . الأحد . . . الاثنين . . . أيام ثلاثة كانت تجرّ خطاها بتناقل . . . ولكن يوم الاثنين كان أسوأ الأيام الثلاثة . . . فلأن جوزف لم يتصل بها حتى الآن قضت ليلتها وهي تتساءل عما إذا كان تأخره عائد إلى فشل عملية ميردت . . . أو . . . ربما لأن ميردت . . . مات.

كانت تتمرن على الكلاريت في الصباح التالي حين جاءت شيري لتخبرها بأن جوزف ماك كاب في الصالون وأنه يريد رؤيتها.

بدا طويلاً ونحياً بثوب العمل . . . وكان واقفاً يتأمل لوحة زيتية لمركب صيد معلقة على أحد الجدران. دخلت إلى الصالون مقطوعة الأنفاس لأنها كانت تركض وهي تنزل الدرج . . . التفت إليها بعينين زرقاوين براقيتين، ثم أشار برأسه إلى اللوحة:

«هذه سفينة الأيام السعيدة» وهي ما زالت تبهر . . . رأيتها في كامون حين مررت بها بالأمس . . . إنها الآن سفينة سياحة، تبحر حول الجزر وفيها عدد كبير من السواح ومن مالكي الأراضي . . . يقال إن الطعام فيها جيد. وصلتي رسالتك ولكنني لم أتصل بك لأنني لم أحب التحدث إليك عبر الهاتف . . . فكان أن انتظرت حتى وجدت وقتاً وها أنا ذا أمامك.

«شكراً لك . . . أئن تجلس؟ هل أحضر لك شيئاً؟ فنجان قهوة؟»

«لا . . . شكراً . . . سأقول ما يجب قوله وأمضي في طريقي . . . لقد أجرى ميردت الجراحة . . .»

«أجل . . . و؟»

«خرج منها بصحة جيدة . . . لم يمت أو يتعرض لأي سوء، لكن

معنوياته في الحضيض.

سألت بحيرة: «في الحضيض؟»

«كثير . . . لهذا لازمته . . . كان يأمل أن يرى ما إن يستعيد وعيه من المخدر ولأن هذا لم يحصل راح يصيح في وجه الجراح والمرضات وفي وجهي وأنا وفي كل من يقترب منه . . .»

تمتمت ناي: «أفهم هذا . . . لكن . . . هل سيبر من جديد؟»

«لن نعرف هذا قبل ستة أسابيع، أو شهرين.

«إنها مدة طويلة للانتظار . . . أعني بالنسبة له . . .»

«أنت على حق في هذا! ومن المحتمل أن يجن . . . لكنه لن يحب أن يكون معه من يعتني به خلال هذه الفترة!»

«آه! أئن يعود إلى هنا؟»

«لا . . . بل سيقى في نيويورك في أحد المصحات الخاصة . . .»

«لم أعرف هذا.

فجأة فكرت في جوليا غرين التي عادت إلى نيويورك لأنها وجدت ماين مملّة غير مثيرة . . . أوه . . . أعرفت أن ميردت سيكون في المدينة الكبيرة ولهذا رحلت إلى هناك؟

«جوزف، أنظن بمقدوري زيارته . . . أعني في المصح؟»

«يمكنك ذلك . . . إنما أنصحك بعدم الاقتراب منه حالياً.

«لماذا؟»

«لا يحب ميردت أن تلاحقه النساء . . .»

«لكنني لن ألاحقه . . . سأذهب إليه كصديقة . . . لأرفع معنوياته.

«لن يعجبه هذا. أتريدين منه أن يعاملك كما عامل تلك المرأة

الخليعة النيويوركية.

«تعني جوليا غرين؟»

- أجل . . جاءت تراه بعد العملية بيوم . . عندما رأيته قلت لها أن تغرب عن وجهه لأن ميردت لن يحب أن تراه والضامات على وجهه والأنابيب في أنفه . . ومن جهة ثانية لا يوجد عندها احترام لخصوصيات الرجل . ولكني أقدر لها مثابرتها وعنادها، فقد جاءت ثانية وهي تحمل باقة من الأزهار عندما لم أكن موجوداً لأطردها .
- ماذا حدث بعد ذلك؟

- غضب ميردت بشدة وأخذ بالصراخ والزمجرة حتى أتت الممرضات وطلبوا منها الانصراف .

انجّه جوزف نحو الباب الذي يفتح على الرواق قائلاً: «اعتقد أن الوقت قد حان لكي أذهب» .

لحقت تاي به حتى الباب الأمامي للفندق . ورمقها بنظرة فيما كان يهيم بفتحه .

- إذا كنت تريدين القيام بزيارة ميردت فلا تأخذي أزهاراً لأنه سيرميها في وجهك، وهذا هدر للزهور الجميلة . أراك لاحقاً!



٨ - عدني ألا تموت!

تبع تاي نصيحة جوزف، ولم تذهب لزيارة ميردت . . جوزف على صواب لأنها لا تريد أن يعاملها ميردت كما عامل جوليا . . ولا تريد أن يظن أنها تلاحقه . . والواقع أنها كلما أطالت التفكير في المسألة كلما أدركت أن من الحكمة الابتعاد عنه في الفترة التي هو فيها في المصح . . وإن كان يريد بها وإن كان يحبها فسبأتي إليها في يوم ما . . وفي هذه الأثناء ستسير حياتها من دونه، كما سارت قبل أن تلتقيه . هناك أشياء تريد القيام بها ولا شأن له بها كما هناك أشياء يفعلها ولا شأن لها بها . من غير الضروري أن يعيشا في ظل بعضهما بعضاً . .

لكنها مشتاقة إليه . . آه! كم تتألم شوقاً إليه! وكم تود أن تعرف حاله الآن . . كيف يبدو . . كيف يشعر . . حاولت أن ترسله، ولكن فكرة أن تقرأ له رسالتها ممرضة ما أوقفتها . في النهاية، أرسلت له رسالة مختصرة، من إحدى تلك الرسائل التي تطوى داخل بعضها بعضاً لتصبح غلاف علبة صور مناظر محلية أو زهور، كتبت في الداخل ببساطة: «ميردت . . أفكر فيك دائماً . . تاي» .

في المرة التالية التي رأت فيها جوزف سألته عن عنوان المصح ولكنها أكدت له أنها لا تريد زيارة ميردت بل إرسال رسالة إليه .

سألت: «هل علمت شيئاً عن حالته؟»

- إنه بصحة جيدة . .

- ألم يبصر حتى الآن؟

- لم يقل شيئاً.

اعتذر كعادته، وابتعد عنها.

مرت أيام شهر حزيران ببطء وكان الجو في هذا الشهر حيناً مشرقاً وحيناً غائماً.. وكانت الحياة في نورثبورت تتابع روتينها الطبيعي.. في فناء المراكب عند شاركي سوير، انطلقت المراكب الشراعية واليخوت، أو وقفت في مرسأها تترنج بانتظار أصحابها الذي سيقضون إجازة الصيف هنا. كان معظم الضيوف من كبار السن أو من الأزواج الذين صحبوا معهم أولادهم.. وكانوا يقفون في التزل مدة يومين أو أسبوع لاستكشاف الريف والمرافئ البحرية الصغيرة، ثم يرحلون قاصدين نيويورك وبوسطن لقضاء الوقت على الساحل.

كانت الفرقة الموسيقية تجتمع بانتظام وتتدرب من أجل الحفلة المقبلة التي ستقام في الأول من تموز وليس في منتصفه كما كان مخططاً لها أصلاً.. الحفلة الأولى اجتذبت إلى الفرقة أعضاء جدداً من الهواة والمحترفين في آن.

أعلن دون بحماس:

- الآن نستطيع توسيع الأداء وتوزيع الألحان.. نستطيع على الأقل تقديم بعض موسيقى موزارت الموسعة، مع آلتى كلاريت، وآلتى «باسون» يتبعها مقطوعة بيتهوفن الثلاثية رقم ستة على البيانو والكماني والتشيللو.. وستكون أمسية موسيقية رائعة..

جعلها التمرن والتدرب مع الفرقة ومساعدتها في إخراج البرنامج التلفزيوني كثيرة الانشغال لكنها استمتعت بالمشاركة مع العديد من المعارف الجدد.. وهي طالما شعرت بالسعادة كلما عزفت موسيقى موزارت الرائعة.. كان كليف نورداي من الأشخاص الذين يسهل

التعامل معهم وكان يوافق على اقتراحاتها بشأن وضع الكاميرات خلال الحفلة.. تعلمت أن التوقيت في عملية إخراج فيلم هو أهم شيء.. واضطرت للتخطيط هي وكليف خلال التمارين متى يجب أن تستقر الكاميرا على وجه أحد العازفين.

بعد مشاهدة أفلام المقابلات مع أفراد الفرقة ومع تاي، قررا أن يلغياها وأن يعيدا المقابلات من جديد ثم اقترح كليف عليها أن تجري بنفسها المقابلة.

- من الأفضل أن تطرحي الأسئلة بنفسك لأنك لك خبرة بالموسيقى.. كما أن لك حضور جيد في التصوير. فصورك رائعة ونوحين للمشاهد بالإخلاص والصدق وهما ميزتان كانت تفتقر إليهما جوليا.

أردف ساخراً: «السبب هاتان العينان الذهبيتان».

دهشت تاي من هذه النظرة الجديدة إلى نفسها: «حقاً؟»

- بالتأكيد.. أنت طبيعية وعفوية، ولا تخفين شيئاً أو تخشين مشاعرك.. تبدين على الشاشة دافئة ومهتمة حقاً بمن حولك. وهذا ما يحبه مشاهدو التلفزيون الذين هم قادرون على ملاحظة كل زائف.. ولهذا لم تنجح جوليا كثيراً. إنها مزهوة كثيراً بنفسها، وبإبراز صورتها على الشاشة ولم تكن مهتمة بمن تجري معهم المقابلات كما لم تكن ناجحة كذلك في الإخراج، فليس لها خيال أو احترام لذكاء الناس الذين سيشاهدون برامجها. لذا لن أدهش إن فشلت بالعمل مع أية شبكة تلفزيونية.

نجحت الحفلة الثانية أكثر مما نجحت الأولى.. ولم يكن الجمهور المحلي هو من شاهدها فقط بل الكثير من المقيمين في المنطقة والسواح.. بيعت كل المقاعد واضطر الكثير إلى الوقوف أو

الجلوس على الدرج أو في الردهة . . وكان أن تلقت ترحيباً شديداً من الصحافة المحلية .

فيما بعد، اجتمعت الفرقة كعادتها لتقوم العمل ولتخطط للحفلة التالية . . اقترحوا على أساس النجاح الذي لقيته الحفلة أن يكون لنورثورت احتفالها الخاص بالموسيقى والفنون سنوياً، كل صيف . قال تود فايلكلاند عضو المجلس البلدي :

- مجلس بلدية البلدة مهتم بالأمر، لأنه يجتذب المزيد من زائري الصيف والسواح إلى المنطقة . هذا إن استطعنا أن نتأكد من حصولنا على منزل لايتون .
والفتت إلى تاي :

- هل ذكرت يوماً فكرة الاحتفال السنوي أمام السيد لايتون . تاي ؟

ردت بحذر : لا لم أذكرها . . فيكفينا الآن أنه وافق وسمح لنا أن نستخدم غرفته الكبيرة لهذه الحفلات الموسيقية الصيفية .
التفت تود إلى المجموعة :

- هل ذكر أحدكم المسألة أمامه ؟ ماذا عنك دون ؟ يبدو أنك اتفقت معه .

- أجل، تحدثت معه عن إقامة احتفال عام ولكنني لم أضغط عليه . . فأنا كتاي أعتقد أن علينا أن نخطو بحذر وعلينا أن ننتظر ونرى كم ستنجح هذه الحفلات قبل القيام بشيء آخر .
قال جاد :

- إنها ناجحة كثيراً . . وأعتقد أن علينا التقدم إلى لايتون الآن كمجموعة، فلنكتب له رسالة نضع فيها بالضبط ما نريد، ونرسلها إليه . أظن أن تاي على علم بمكانه . . أليس كذلك ؟

ارتد إليها متسانلاً فأجابت :

- أستطيع أن أعرف . . سأسأل جوزف ماك كاب . . لأنه يعرف مكانه .

ذهبت لرؤية جوزف في اليوم التالي . . وكالعادة لم يكن متعاوناً . . لكنه قال لها إن ميردت ما يزال غير قادر على الرؤية وإنه ما يزال في المصح في نيويورك .

بعد نقاشات طويلة، سطرت المجموعة رسالة وقعها دون وجاد وأرسلت إلى ميردت . . ثم اتجهت كل طاقات المجموعة للتخطيط للحفلة الثالثة في أول نهاية أسبوع من شهر آب، ولحفلة رابعة أواخر شهر آب، قبل أن يرحل أكثر المصطافين .

أخيراً، تلقت تاي رسالة من لجنة التوظيف في أوركسترا كاراكاس، تقول إنها لم تُقبل كعازفة في قسم الآلات النضجية . . بعد خيبة الأمل التي منيت بها شعرت براحة عارمة . . فأخيراً عرفت أين تقف، وكيف تخطط للمستقبل . . قالت لدون ما حدث، وسألت عما إذا كان بإمكانها استخدام اسمه كمرجع للسؤال عنها إن تقدمت بطلبات جديدة لفرق أخرى .

- بالتأكيد سأوصي بك . . إنما لما لا يمكنك البقاء هنا؟ المجموعة بحاجة إليك وإن استطعنا ترتيب هذا الاحتفال السنوي فسنرغب أن تكوني المدير التنفيذي له .

- أحب البقاء وأحب أن أدير لكم الاحتفال . إنما يجب أن أعيّل نفسي فلن أستطيع الاعتماد على أختي إلى الأبد .

- أفهم هذا . . لكن سيبقى لك العمل الصغير في إخراج الحفلاتين المتبقيتين للتلفزيون . . ولدي إحساس بأنهم سيطلبون منك المزيد . لماذا لا تنتظرين لتري ما سيحمل إليك أيلول معه عزيزتي؟ فقد تحدث

أمور كثيرة بين الآن وبين ذلك الوقت .
وافقت تاي متنهدة :

- هذا صحيح . . هل هناك رد على الرسالة التي أرسلتموها إلى ميردت لايتون؟

- لا . . ليس بعد . إنما الرد آت . آت . ولن يتجاهلنا . أنا والم

من هذا .
قُدمت الحفلة الثالثة في مطلع آب ، وبدأ التدريب للرابعة . . مر شهر آب وأيامه الحارة . في هذا الوقت كان الخليج يبعج بأشعة اليخوت ولكنه في بعض الأحيان كان يعود ساكناً لأن الأمطار الموسمية كانت تهطل فجأة كما يحدث في المناطق الاستوائية .

إنه آخر يوم من الشهر ، وآخر أحد فيه . بدا فيه الجو صافياً ممتازاً ، وبدا مغيب الشمس رائعاً والسماة قرمزية والبحر مشتعل ناراً ، والتلال أرجوانية قاتمة .

عندما صدحت الموسيقى في منزل لايتون تسمر المشاهدون في أماكنهم . أما تاي التي لم تكن تعزف تلك الليلة بل كانت تقدم كل قطعة قبل عزفها فكانت جالسة على مقعد البيانو ، في مكان لا يراها فيه الجمهور . وكانت واثقة أن روح جايسون لايتون تبسم وتهز رأسها موافقة على ما يحدث في الغرفة التي طالما عزف فيها على البيانو .

كانت على وشك إنهاء تقديم آخر قطعة موسيقية ، عندما رأت ميردت . . على الأقل ، ظنت أنها رأت . . أجفلتها رؤيته بحيث صمت في منتصف الجملة ، واضطرت إلى سحب نفس عميق قبل أن تكمل .

وقبل أن تعود إلى مقعدها وراء البيانو ، نظرت بسرعة إلى الباب المفتوح حيث ظنت أنها رأت يقف . ولكنه لم يكن موجوداً . . عندئذ اقتنعت أن مخيلتها تلاعبت بها . . إنها ترغب في رؤيته كثيراً لذا

اجتاحت مخيلتها الواقع وأظهرت لها شيئاً من الهلوسة .

انتهت الحفلة الموسيقية وصفق الجمهور ، وانحنى العازفون عدة مرات . . ثم غادر الجمهور المنزل ببطء . .

بعد الاتفاق على اللقاء في منزل دون في الأسبوع المقبل غادر الموسيقيون وودعت تاي كليف نورداي والمصورين الآخرين وذهبوا في «الفان» ، أما تاي فقد جاءت بمفردها في سيارة كينان . . عندما كانت تهم بفتح الباب ، رفعت بصرها إلى المنزل الكبير المظلم فنذكرت ليلة الحفلة الموسيقية الأولى والضوء المشع من غرفة الطابق العلوي .

لكن الليلة لم يكن هناك أثر للضوء في الأعلى أو في الأسفل . . مع ذلك وجدت الباب الأمامي مفتوحاً . . نظرت حولها ، فإذا شاحنة جوزف ماك كاب غير موجودة ولكنها رأت سيارة واحدة متوقفة أمام المنزل ، بعيداً عن سيارتها . .

صفقت باب السيارة وهرعت إلى الدرج ثم إلى الردهة . . كان الظلام يلفها ومع ذلك دخلت إلى غرفة الموسيقى . . ولكنها رأت ضوءاً خفيفاً يتسلل من النافذة ويضيء مفاتيح البيانو ، والساعة فوق رف الموقد . . من الباب المفتوح أخذ نسيم الليل البارد يحرك الستائر المخملية .

ثم تناهى إلى مسمعيها صوت من الردهة فارتدت على عقبها وألقت نظرة إلى خارج الغرفة . . كان الباب الأمامي مقفلاً . . فتقدمت لتستفقه ولكنها وجدت الباب مقفلاً بالمفتاح . . آه ! لا شك أن جوزف كان في المنزل وأنه غادره الآن مقفلاً الباب وراءه . . والأرجح أنه أقفل أيضاً الباب الخلفي ، إذن هي محجوزة في المنزل .

لا . . لم تكن محجوزة . . فالباب الزجاجي في غرفة الموسيقى ما يزال مفتوحاً . . هذا إهمال من جوزف . . عادت تاي إلى غرفة

الموسيقى وسارت حول المقاعد باتجاه أقرب باب زجاجي . . من ورائها ناداهم أحدهم باسمها : تاي !

ارتدت نحو الباب فلم ترَ أحداً . . هل تراءى لها أنها سمعت صوتاً؟ هل لفظ أحدهم اسمها؟ أم لعل هذه الغرفة «مسكونة»؟
- تاي . .

ارتفع الصوت مجدداً فاقشعر بدنهما على بشرتهما، واستولى عليها الخوف من المجهول، عندئذ حثت الخطى نحو الباب الزجاجي، فارتطمت بالكراسي فوقعت أرضاً إنما ليس قبل أن تصطدم بعدد من الكراسي . . وصلت أمام الباب الزجاجي، وكانت تهم بالخروج عندما ارتفع من ورائها صوت مألوف طالما تأقت لسماعه وقال هادراً:
- تاي . . ماذا تفعلين هنا بحق الله؟

انصبَّ العرق من بشرتها وخفق قلبها بين ضلوعها بقوة واتسعت عينها رعباً . . نظرت إلى الورا فعمَّ النور الغرفة . كان هناك رجل في الباب يده اليمنى تنزل عن زر الإنارة على الجدار . . رجل تعرفه . . ولا تعرفه، رجل ضخيم قوي، يبدو أقوى لأن شعره القصير جداً عاد ينمو بعدما كان محلولاً كلياً . . كان يرتدي الجينز وتيشيرت أزرق قصير الأكمام . قماشه الرقيق ملتصق ببعضلات صدره والأكمام القصيرة تظهر ذراعيه السمراوين . . ولكنه لا يضع نظارة سوداء . . عبر الغرفة، رأت تاي بريق عينيه الزرقاوين.

أحست بالفرح بغمرها، وهمست:

- ميردت . . هل أنت . . أعني . . آه! ميردت!

مرة أخرى اصطدمت بالمقاعد وارتطمت ركبتها وساقها بها وهي تحاول الركض إليه . وكان يتقدم نحوها أيضاً دافعاً المقاعد بدوره من أمامه . التفت . . وقفا يتبادلان النظرات . . ثم امتدت أذرعتيهما والتفت

حول بعضهما بعضاً . تعانقا وتعانقا وهما يضحكان بأنفاس مقطوعة . . ثم عانقها عنقاً حاراً جعلهما يترنحان تحت جبروت الحب المشتعل .
سألته تاي:

- متى جئت؟

- هذا المساء . وصلت قبل نهاية الحفلة بقليل، ودخلت من الشرفة فسمعت آخر حركة من الجزء الثاني . . ظننت أنني أنجبل حين خرجت من وراء البيانو لتعلنني عن الجزء الثالث .
- ألا تعرف أنني هنا؟

- لا . . فقد تذكرت أنك قلت لجوليا غرين في هذه الغرفة إنك تاركة نورثبورت بعد الحفلة الأولى لتذهبي إلى كاراكاس، ولم يكن لدي سبب يجعلني أعرف أنك غيرت رأيك .
- لكن ألم يخبرك جوزف بأنني ما زلت هنا؟

- ولماذا يخبرني؟ فأننا لم أسأله عنك وهو لم يأتِ على ذكرك .
كانت ابتسامته الملتوية تسخر من نفسه ومن جوزف . .
ردت عليه:

- همم . . لاحظت هذا . . وأنت لا ترد على الرسائل كذلك، لأنك لم ترد على رسالتي، هل وصلتك؟

صمت لحظات، كان ينظر إلى أيديهما المتشابكة معاً على ركبته، ثم رفع عينيه إلى عينيها فشعرت للمرة الأولى بتأثير عينيه الزرقاوين .
قال بهدوء: «لم أستطع . . مشاعري نحوك كانت أعمق من الكلمات . اعتقدت أنك تركت نورثبورت، وسافرت إلى مكان ما بحيث لن أستطيع إيجادك ثانية» .

رفع يديه وأمسك رأسها بينهما وهمس:

- ما أروع أن أراك . . تاي . . أخيراً . . ما أروع أن أراك .
 تعانقاً مجدداً بركة وحرارة فشعرت تاي بأن أشهر فراقهما لم تكن
 قالت بأنفاس مقطوعة :
 - أفهم من هذا أن الجراحة ناجحة .
 - أستطيع الرؤية بشكل كامل تقريباً . . أحتاج إلى نظارات طبية
 للقراءة . . هذا كل شيء .
 - لكنك تستطيع استخدام الكاميرا مجدداً .
 - طبعاً . . وشكراً لله ! ولهذا أنا هنا ، سأسافر في مهمة وأريد ترتيب
 أمور المنزل .
 ارتدت عنه قليلاً : « مهمة ؟ لشبكة التلفزيون ذاتها ؟ »
 - هذا صحيح .
 همست : إلى أين ؟ إلى أين ستذهب ؟
 - إلى السلفادور مرة أخرى . .
 - لكن . . لكن ، هناك . .
 - هناك حيث بارني تمزق إرباً وأصبت أنا . أعرف . . إنما عليّ
 العودة . .
 - لماذا . . ؟ لماذا يجب أن تعود ؟ أليس هناك مهمة أخرى لك ؟
 مكان أقل عنفاً ؟
 قال بهدوء : يجب أن أعود . . لأثبت لنفسي أنني لم أفقد
 شجاعتي . . وأتني لا أخاف السير بين الرصاص المتطاير ، وقنابل
 « الهاون » و « المورتر » لألتقط صور بشاعة الحروب الأهلية . . فهذا هو
 ما يجري هناك بالضبط .
 - لكن . . لكن ، ماذا عنا ؟
 أحنت رأسها وَاغْرورقت الدموع في عينيها . وتشابكت يداها في

حضنها .
 كرر بحيرة :
 - عنا ؟
 - أجل . . أنت وأنا . .
 رفعت نظرها إلى وجهه ، تنفض شعرها إلى الوراء وتكمل :
 - أليس . . لعلاقتنا . . لصداقتنا . . مهما أحببت أن ندعوها ، أية
 أهمية لك ؟ هل الإسراع في الذهاب إلى بلد مزقتها الحرب وتصوير
 الموت والدمار ، يعني لك أكثر مما . . مما أعني أنا ؟
 تأمل ميردت وجهها المرتفع إليه فغادرت القسوة عينيه ، وحلّ
 مكانها نظرة دفة وحنان . . لامس خدها بطرف إصبعه .
 اعترف ببطء : « لا . . لا شيء يعني لي أكثر مما تعنيه لي » .
 صاحت : « إذن لا تذهب في هذه المهمة » .
 رمت ذراعيها حوله تحضنه ، وتضغط خدها على خده الخشن :
 - لا تذهب ميردت . . ابقى هنا معي . . وصور أفلاماً عن
 الموسيقى . . آه ! أرجوك لا تذهب . فقد تصاب بأذى مرة أخرى . . وقد
 تقتل !
 لم يقل شيئاً ، ولكنه ظلّ يحضنها لحظات طويلة ، يمسس شعرها
 بهدوء حتى هدأت ، ثم أراحت رأسها على كتفه فشعرت بدفته ينتشر في
 جسمها .
 ثم قال بصوت منخفض ناعم وحازم :
 - يجب أن أذهب تاي . . لن يهدأ لي بال إلا إذا عدت لأنهي ما
 كنت أحاول أنا وبارني القيام به . . إذا كنت تحبيني فستفهمين مشاعري
 وستفهمين لماذا عليّ الذهاب .
 صمتت تاي . . وفكرت في ما يقول ، واعترفت على مضض أنه

على صواب.

سألت بصوت لاهية فيه : «متى؟ متى ستسافر؟»

- في بداية تشرين الأول.

بعد شهر..

رفعت رأسها عن كتفه، وابتعدت عنه:

- هل وصلتك رسالة دون وجاد؟

- أجل.. وأرجو أن ألتقي بهما في الأسبوع المقبل.

- كان بإمكانك رؤيتهما هذه الليلة لمناقشة المسألة.

- هذا صحيح.. لكن ما إن رأيتك حتى بت غير راغب في

مكالمتهما.. أردت محادثتك أولاً.. نويت الذهاب إلى الفندق غداً

ولكنك عدت إلى المنزل. لماذا عدت؟

- ظننت أن جوزف ذهب وترك الأبواب مفتوحة فعدت أقفلها..

كيف عرفت أنني عدت إلى الداخل؟

- رأيتك.. كنت في المكتبة، ولما خرجت أقفل الأبواب رأيتك

تدخلين إلى الغرفة عندئذ أقفلت الباب الأمامي بالمفتاح واختبأت في

الظل.

- لماذا لم تكلمني ساعتها؟

- أردت مغازلتك قليلاً.

- حين كلمتني كدت أموت خوفاً. ظننت أنني أنخيل..

نظرت إلى الباب الزجاجي المفتوح:

- يجب أن أذهب.. ستسأل كينان عن مكان وجودي.

- حسناً لن أؤخرك كثيراً.

عانقها من جديد وهو يتأوه:

- لم يكن لي غيرك في الأشهر الماضية.. كنت دائماً في تفكيري

وفي جسدي، تطاردني، وتعذيبني.

همست ناي، التي تعلقت به ببأس:

- وأنا كذلك.

سألها: لماذا لم تغادري نورثبورت بعد الحفلة الأولى؟ لماذا لم

تسافري إلى كاراكاس؟

- لم يقبلوا بي.. سوف أبقى هنا. منذ تركت جوليا المحطة كنت

أخرج الحفلات للتلفزيون العام. تعلم أنها تركت وعادت إلى نيويورك؟

رد بيرود:

- أعرف.. تابعي حديثك عن الإخراج الذي تقومين به، هل أنت

ناجحة فيه؟

- هذا ما يظنه كليف نورداي ومدير البرامج.. لقد طلبا مني إخراج

المزيد من البرامج لهم.. ثم في الصيف القادم إن استطعنا إيجاد مكان

مناسب لإقامة حفلة سنوية تريدني الفرقة أن أكون مدير الاحتفال

التنفيذي.. مبردت.. هل قررت؟ هل ستسمح لنا باستخدام هذا

المنزل؟

أغمض عينيه وتشدد ببطء:

- قد أسمح.. ولكن ذلك وقف عليك.

- يبدو لي أننا أجرينا مثل هذا النقاش من قبل.

- هذا صحيح.. تزوجيني ناي، عيشي هنا، ولك ملء الحرية بأن

نجلبي كل فرق العالم للعزف هنا متى شئت. أعتقد أن هذا ما قلته لك

ولكنك يومذاك اتهمتي بأنني غير طبيعي.

التوى فمه بمرارة.

صاحت بأسى:

- ألن تغفر لي أبداً؟ لم أقصد بقولي إنني أرفضك لأنك نصف

أعسى .. بل قصدت أنني لا أستطيع قبول عرضك لأنني شعرت بأنك ما كنت لتطلب الزواج بي لولا عماك .. هل كنت ستطلبني لولا ذلك؟ رفعت بصرها ونظرت إليه بتحد ..

قال بفضافة: لولا عماي لما التقيت بك .. لكنني الآن بصير، وأنا طبعي كما لم أكن قط، وأنا أتقدم إليك مرة أخرى .. تاي .. هل تنزوجيني قبل سفري؟ همست: «لماذا؟ لماذا؟»

.. للأسباب عينها التي جعلتني أطلب يدك من قبل .. يا إلهي يا امرأة! هل يجب أن أمجىء لك الكلمات؟ بل كلمة واحدة؟ أريد أن أجعلك زوجتي .. أريد الزواج بك بسبب جميع الأسباب التي تدفع رجلاً إلى الزواج بامرأة .. أنا أحب أن أكون معك وأريد أن أتأكد أنك لي، لي وحدي .. أريد أن يكون لي الحق أن أعود إلى منزلي لأجذك، وأساكنك في أي وقت أريد، أريد أن أراك وأحميك .. أريد أن أشاركك هذا المنزل .. أريد أن أمنحك إياه لتحويله إلى مركز موسيقى .. أريد الزواج بك لأنني .. لأنني .. آه! رباه .. أعتقد أن هذا كله بسبب .. آه! أحبك .. فما هو ردك إذن؟ هل وجدت شخصاً آخر تفضليته علي؟

ردت تاي بسرعة: «لا .. لا .. لا .. آوه .. لا .. ميردت، لا يمكنني أن أحب سوى رجل واحد .. وأنت الرجل الوحيد الذي أحبيته بمثل هذه القوة والبأس».

- إذن ستتزوجيني وستعطيني الحق بأن أعود إليك .. بعد انتهاء مهمتي؟

- أجل .. أنت، سأزوجك .. إنما يجب أن تعدي أن تكون حذراً لئلا تقتل أو تجرح ..

- أعدك .. فستغير أسلوب حياتي لأنني أعرف أنك هنا بانتظار عودتي إلى البيت ..

تزوجا قبل ثلاثة أيام من سفره إلى السلفادور .. وكانت كينان موجودة هي وشاركي سوير هذا عدا معظم أفراد الفرقة الموسيقية الذين شاركوا أيضاً، ووالدة كينان وتاي التي وصلت من اسكتلندة وأبدت قليلاً من الانتقاد على اختيار ابنتها الزواج بميردت .. لا يبدو لي مناسباً كزوج ..

قالت تاي ببساطة:

- لكنني أحبه ..

- إنما سيأفر بسرعة، سيركك ثلاثة أشهر .. وما هذه بطريقة للبدء بحياة زوجية .. يجب أن يبقى معك .. أن يغير عمله ليعيش معك طوال الوقت .. أتعرفين تاي .. أنت مثل أبيك .. منهورة، لا شك أن الدم الإيطالي يجري فيك ..

التفت نظرها من ميردت الذي كان يكلم دون، إلى كينان الواقعة مع شاركي ..

- كينان تشبهني أنا .. وأنا أفضل من اختارته زوجاً .. أتوقع منها أن تتخلى عن الفندق بعد زواجها لتربي أولادها ..

ردت تاي: آوه .. أشك في هذا .. أشك في أن تتخلى عن الفندق .. فهي تستمتع بإدارته كثيراً .. وأظنها قادرة على تدبير أمر الأولاد بطريقة ما حين تنجبهم .. وهذا ما سأفعله أنا أيضاً ..

عندما شعرت بنظرة ميردت الزرقاء تركز عليها، تركت أسها واتجهت إليه ورفعت وجهها إلى وجهه، وكأنها تدعوه لتقبيلها ..

تمتم: لم يبق أمامنا وقت .. فهل تتركهم الآن لنذهب إلى منزلنا؟ بعد دقائق كانا يتجهان بالسيارة إلى المنزل القابع في أعلى التلة ..

بدا رمادياً قائماً أمام السماء الرمادية والبحر الرمادي في أحد مزاجاته
الغامضة. دخلاً وأقلاً الباب وراءهما ودخلاً إلى عالمهما السري
الخاص. . عالم النور والتناغم الذي خلقاه بنفسيهما نابعاً من
رغباتهما البائسة نحو بعضهما بعضاً. . والذي سوف يعودان إليه كلما
كانا معاً.

